ملامح من الثقافة الأفريقية

اسم العمل : ملامح من الثقافة الأفريقية
النوع : دراسة
تأليف : سماح دياب
تصميم الغلاف : أحمد الملواني
إخراج داخلي : عبدالقادر فايز
الطباعة : اتيليه تاتش – المحروسة
الناشر : الدار للنشر والتوزيع
المدير العام : محمد صلاح مراد
تليفون : ٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريد الإلكتروني : eddar_press@yahoo.com
فيس بوك : www.facebook.com/eldarpublish
رقم الإيداع : ٢٠١٧/٢٧٣٧٨
الترقيم الدولي : I.S.B.N.: 978-977-702-202-6

ملامح من الثقافة الأفريقية

دراسة

سماح دياب

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٨

إهـــــــــداء

إلى رفيق دربى. . وقلبي النابض بالأماني

إلى أبو بناتى " مريم " "كنزى" " نورای "

أهدي إليك إصداري الأول

سماح دياب

مقدمة

فى عصر النهضة الأوربية أصبح اللفظ ، ثقافة يطلق على الآداب والفنون" بقول هنرى لاوست" أن الثقافة هي مجموعة الأفكار والعادات الموروثة التى يتكون منها مبدأ خلق أمة ويؤثر بها أصحابها وتنشأ فى عقلية خاصة بتلك الآمة تمتاز بها عن سواها "

والقارة الأفريقية تزخر بنماذج عظيمة من الإبداعات الأنسانية، وهى قارة ثرية بأنواع شتى من الثقافات. وهنالك اجماع بين جمهور المستشرقين على أن الثقافة الافريقية تعنى ثقافة المناطق جنوب الصحراء الكبرى حتى إلتقاء القارة بالمحيط الهندى أقصى الجنوب والمحيط الأطلسى.

أن الثقافة الإفريقية المعاصرة كانت نتاج لحركات التحرر الوطنى فى القرن العشرين، حيث نجد أن حملة لواء الجهاد الوطنى من الافريقيين ضد المستعمر الأوروبى كان أغلبهم من الطبقة المثقفة، حيث كانت الثقافات الإفريقية هى الركيزة التى بنيت عليها الهوية الافريقية لدى الشعوب المحررة.

وخلال سنوات عديدة عمل المستعمر على اضعاف تلك الهوية بل ومحوها على الاطلاق لخدمة اغراضه الاستعمارية، حدث ذلك من

خلال إحلال لغة المستعمر محل اللغة المحلية للشعوب الأفريقية، واضطر الكتاب لأفارقة الى التفكير بلغتهم الأم والكتابة بلغة المستعمر لتكون هى أداة تعبير الافريقى عن ذاته بدلا من لغته الأم. وساعده على ذلك أن الثقافات الإفريقية على أختلاف أنواعها ظلت لفترات طويلة نشاطا شفويا أرتبط أرتباطا كليا بالأغراض والشعائر الدينية حيث لم تكن تعرف تلك الشعوب "شعوب أفريقيا جنوب الصحراء" الكتابة والتدوين وأقتصر ذلك على شعوب شمال أفريقيا.

يقول في ذلك وول سونيكا " كل هذه وغيرها واجبات ومشكلات في وقت واحد ولكن لعل على رأسها جميعًا مشكلة التعبير باللغة الاجنبية الوافدة، حيث مازال الكاتب الافريقي خارج مجال اللغات الأوربية أو يشعر بالقلق اذا كان يكتب بلغةافريقية مدونة. ففي كلتا الحالتين يعاني من ضيق رقعة القراء الناتجة عن ارتفاع نسبة الامية ولعل ابرز مظاهر هذه المشكلة يتضح عند تاليف الدراما بلغات اوربية حين يضطر الكاتب الى أن يضع الانجليزية مثلا على لسان شخصيات محلية امية غير قادرة اصلا على الحديث بالانجليزية أو فهمها".

لقد اشتمل الأدب الإفريقي على التراث الشفهي والآداب المكتوبة بلغات بعض الشعوب الإفريقية كالسواحلية والحوصة والبانتو والنيلو وغيرها من الشعوب التي تعيش في بعض أجزاء القارة السوداء، ولاسيما إلى الجنوب من الصحراء الكبرى. ومع أنه لا يمكن الادعاء بوجود وحدة ثقافية أصيلة بين الشعوب الكثيرة التي تعيش في هذه القارة، إلا أنه لا يمكن أيضاً إنكار الملامح الحضارية المشتركة التي تعم شعوبها.

أن القارة الأفريقية خلال القرن الحالى تشهد غزارة فى الانتاج الثقافى على أختلاف اشكاله، فى الرواية، والقصة القصيرة، والمسرح، والموسيقى، والسينما... الخ ليمثل انتاجها الثقافى واحدا من أهم انتاجات العالم فى ذلك المجال، وصل الأمر للمنافسة الأفريقية على أهم الجوائز العالمية فى الاداب والفنون؛ بل والفوز بها بجدارة، مثل جائزة نوبل للاداب والتى فاز بها العديد من الشخصيات الادبية فى القارة.

ولا خلاف أن الثقافة فى حياة الشعوب هى أقرب وسائل الاتصال والتقارب، وانطلاقا من ذلك المبدأ حرصت على أن يكون كتابى الأول بطاقة تعارف على أفريقيا فى مجال الادب والفن بشكل بسيط من خلال عدة مقالات متنوعة تحتوى على الوان من الفنون والثقافة الإفريقية بالاضافة الى رصد السيرة الذاتية لبعض الشخصيات

الإفريقيـة فـى المجـال الثقـافى ،ورصـدت ايضـا علاقـة مصـرالثقافية ببلدين افريقيين (أثيوبيا – غانا) كنموذج للعلاقات الثقافية بين مصر ودول القارة السمراء.

قسم الكتاب لأربعة صول

االفصل الاول بعنوان: ثقافة إفريقية "

الفصل الثاني بعنوان: شخصيات ثقافية فى ذاكرة أفريقيا

الفصل الثالث بعنوان: العلاقات الثقافية بين مصر وبعض البلدان الإفريقية (غانا – اثيوبيا نموذجا)

الفصل الرابع: التغلغل الثقافى الأسرائيلى فى القارة الافريقية
وأخيرا الكتاب الذى بين أيديكم هو جولة سريعة داخل القارة الأفريقية وهو اقرب الى بطاقة تعارف بين القارىء والقارة السوداء.

"والله ولى التوفيق"

سماح دياب
القاهرة نوفمبر ٢٠١٧

الفصل الأول

ثقافة أفريقية

الانتلجنسيا الافريقية... سبيل عبور القارة الى التحرر

تعنى الانتلجنسيا النخبة المثقفة وهى ماخوذة من الكلمة اللاتينية (intellegentia) روسية الأصل، حيث intellegents وتؤكد معظم المراجع على اعتبار كلمة استخدمت لأول مرة في منتصف القرن التاسع عشر، لوصف النخبات الصغيرة ذوي الثقافة النامية والتي تلقت تعليماً جامعياً على الطراز الأوربي.

وهى تعريف لطبقة اجتماعية تشارك فى عمل ذهنى معقد يهدف الى توجيه ونقد او لعب دور قيادى فى تشكيل المجتمع وسياسته، وقد استعير المصطلح من "جورج هيجل " فى اربعينيات القرن التاسع عشر لوصف فئة متعلمة ومهنية من البرجوازيين الوطنيين اللذين اصبحوا قادة روحانيين فى بلد خاضع لقوى اجنبية.

وكما يرى الكاتب الامريكى شيلز فأن المثقفين هم اكثر النخبات أهمية فى البلدان النامية، او كما يرى الكاتب جون كاوتسكى أن المثقفين هم أولئك الذين تزعموا الجهود لتأسيس شعوب حديثة، وهم أصحاب الافكار المتفتحين للمعرفة الجديدة لغرض خلق نظام

اجتماعى وسياسى جديد لهم ولاتباعهم ،وهم المسئولون عن خلق او توضيح الايدلوجيا التى تكون الركن الحاسم فى خلق الدولة القومية.

واذا ما اخذنا ذلك المصطلح لنطبقه على القارة الافريقية وعلى قادة حركات التحرر فى تلك القارة التى عانى مواطنيها من تكالب دولى على كل شبر فيها، سنجد ان الانتلجينسيا الافريقية هى من اخذت على عاتقها تحرير القارة من براثن الاحتلال.

لقد شهدت فترة ما بعد الحرب زيادة فى عدد المثقفين الافريقيين. فقد قام الافريقيون بجهود بطولية لتوفير التعليم لانفسهم، بل كانوا يقيمون مدارسهم الخاصة لسد النقص المرعب فى التعليم الرسمى الذى يقدم للافريقيين، فكم من ام افريقية كدحت كالرقيق من الصباح الى المساء، فى اداء اعمال منزلية، وغسل الملابس، وصنع وبيع بعض المشروبات المحلية، كل ذلك كى تكسب شيئا من النقود توفر به لابن لديها قدرا من التعليم. فقد عمل كوامى نكروما بغسل الاطباق فى الولايات المتحدة كى يستطيع اتمام تعليمه، وسار دكتور هاستنجزباندا مئات الاميال عندما كان شابا من وطنه نياسالاند، سعيا وراء التعليم فى اتحاد جنوب افريقيا، وبعد ذلك وراء استكمال تعليمه فيما وراء البحار. وكم من زعيم افريقى يمكنه أن يروى قصصا مماثلة.

وكان من المحتم بطبيعة الحال أن يلعب الامبرليون دورا معينا فى اقامة التعليم العالى، بأمل تشجيع قطاع من الافريقيين المتعلمين "المسئولين" الذين ممكن ان يضطلعوا بدور الحلفاء السياسيين ،بيد ان هذا التعليم كان لقلة قليلة فقط، وكان هدفه انتاج صورة فوتوغرافية لاصل اوروبى بدلا من المساعدة على التقدم الثقافى للافريقيين انفسهم.

لقد كان لدى الادارة البريطانية على سبيل المثال فى مستعمراتها الافريقية طريقة واثقة لمنح مثل هذه المعاملة الخاصة للافريقى المتعلم، بحيث تفصل ما بينه وبين الجمهور، ولكن على العكس من ذلك وجدنا تطابق تدريجى بين المثقف الافريقى (وبخاصة فى جنوب ووسط افريقيا، حيث توجد سيطرة المستوطنيين البيض المقترنة بأقصى درجات التمييز العنصرى) وبين الجماهير الافريقية والنضال من اجل الاستقلال الوطنى والتقدم القومى. لقد كان على المثقف الافريقى أن يزيل اى عقبات تنال من كرامته، ويكيف نفسه للاندماج مع الجماهير، وربما يتعرض للتنكيل او الابعاد او يفرض عليه الحظر، او تحديد اقامته فى بلدته حتى يتخلى عن نضاله، وذلك لان الاستعمار بطريقته الخاصة، يضغط على المثقف الافريقى بالقدر نفسه من العنف الذى يضغط به على العامل والفلاح وعلى الزارع الافريقى والرأسمالى الافريقى.

وكما يؤكد الكاتب ايزاقييل مفاليله فى مقاله عن الانتلجنسيا الافريقية وهو يتحدث عن المستوطنيين البيض حيث تتماثل مشكلات التعايش بين السود والبيض فى معظم المجالات يقول "أن المستوطن الابيض يخشى الافريقى المتعلم ويقاومه ،ويبحث عن طريقه لاذلاله والحط من شأنه، ولينكر عليه الاشياء التى جعله التعليم يتطلع اليها، وهكذا فى جماعة متعددة العناصر لايستطيع الرجل الاسود أن يتخذ له مهنة كصانع مدرب أو طبيب اسنان او صيدلى، لانه لا القانون ولا النقابات البيضاء تسمح بذلك، ويقول مفاليله "أن المثقف الافريقى او المهنى الافريقى يتحول فى مثل تلك الظروف الى دمية ويحرم من الاعتراض على القيود المهنية المفروضة عليه".

ان الافريقى المدرب الذى يحمل وراءه سنوات كثيرة من الخبرة، كثيرا ما يرى رجلا ابيض حديث الخدمة عديم التجربة، يسبقه كثيرا فى الدرجة الوظيفية ويتقاضى اضعاف مرتبه، ولذلك يعد النضال من اجل افرقة الادارات الحكومية فى غانا ونيجيريا والسودان وفى مناطق اخرى قصة طويلة من قصص المقاومة العنيدة ضد العنصرية.

وهكذا يكون المثقف الافريقى واقعا تحت وطأة تأثيرين متعارضين، فمن ناحية يحاول الامبرياليون اغراءه بمنحه بعض الامتيازات المحدودة وقتل كبرياءه الوطنى، من خلال عملية خبيثة ومتعمدة

قوامها القضاء على طابعه الافريقى وصبغه بالصبغه الغربية ،ومن الناحية الاخرى يجد الافريقى مطامحه هو وشعبه تتعرض بصورة دائمة للمقاومة والاحباط بسبب رغبة المستعمر والمستوطن الابيض فى الاستئثار بكل المزايا، فى تلك اللحظة يدرك المثقف الافريقى انه لن يخطو الى الامام مادام الاستعمار والحكم الامبريالى جاثمين على صدر بلاده.

اشكالية اللغة بالنسبة للمثقفين الأفارقة

خلال سنوات عديدة عمل المستعمر على اضعاف هوية الأنسان الأفريقي بل ومحوها على الاطلاق لخدمة اغراضه الاستعمارية، حدث ذلك من خلال إحلال لغة المستعمر محل اللغة المحلية للشعوب الأفريقية، واضطر الكتاب لأفارقة الى التفكير بلغتهم الأم والكتابة بلغة المستعمر لتكون هى أداة تعبير الافريقى عن ذاته بدلا من لغته الأم. وساعده على ذلك أن الثقافات الإفريقية على أختلاف أنواعها ظلت لفترات طويلة نشاطا شفويا أرتبط أرتباطا كليا بالأغراض والشعائر الدينية حيث لم تكن تعرف تلك الشعوب "شعوب أفريقيا جنوب الصحراء" الكتابة والتدوين وأقتصر ذلك على شعوب شمال أفريقيا.

ان مشكلة اللغة القومية هى إحدى المشاكل الهامة التى استرعت أهتمام المثقفين الأفريقيين مع أنها لم تكن وحدها مشكلة أفريقيا السوداء، وربما يرجع ذلك للكثير من الاسباب أبرزها كثرة وتعدد اللهجات الأفريقية والتى بلغت من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ لهجة (لغة) فى أفريقيا وحدها، مع أن عدد اللغات فى العالم كله يبلغ ٢٠٠٠ لغة تقريبا.

لذلك كان يكون على أى مؤلف يكتب بلغة أفريقية أن يواجه مشكلة قلة القراء ليصل لعدد محدود جدا، هذا بالرغم اننا لا يجب أن نغفل عدد من اللغات الهامة فى أفريقيا مثل "الهوسا" و"البيل" "واللغة السواحيلى التى يتكلم بها سكان افريقيا الشرقية بجانب اللغة الانجليزية.

السبب الاخر التعليم فى المستعمرات سواء الفرنسية او الانجليزية، فنظام التعليم الذى خلفه الاستعمار يقضى بأن يكون التعليم باللغة القومية مقتصر فقط على المرحلة الأبتدائية، أما المرحلة الثانوية فالتعليم فيها باللغات الأوروبية ؛بحيث أصبحت اللغات الفرنسية والانجليزية والبرتغالية ليست لغة الافريقي المثقف فحسب؛ بل صارت هى الوسيلة للأتصال بالأفريقي جميعا مع أختلاف قبائلهم.

يقول في ذلك وول سونيكا " كل هذه وغيرها واجبات ومشكلات في وقت واحد ولكن لعل على رأسها جميعًا مشكلة التعبير باللغة الاجنبية الوافدة، حيث مازال الكاتب الافريقي خارج مجال اللغات الأوربية أو يشعر بالقلق اذا كان يكتب بلغةافريقية مدونة ففي كلتا الحالتين يعاني من ضيق رقعة القراء الناتجة عن ارتفاع نسبة الامية ولعل ابرز مظاهر هذه المشكلة يتضح عند تاليف الدراما بلغات اوربية حين يضطر الكاتب الى أن يضع الانجليزية مثلا على لسان شخصيات محلية امية غير قادرة اصلا على الحديث بالانجليزية أو فهمها".

لقد كانت أهم المشكلات التى واجهت القارة بعد التحرر ولمسها انصار الوحدة الأفريقية هى الربط بين أفريقيا الناطقة باللغة الانجليزية وأفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية، وكانت غانا وغينيا وفق توصيات مؤتمر الشعوب الأفريقية المنعقد فى أكرا ١٩٥٨م أول دولتين أتخذتا إجراءات لتعميم تعلم اللغتين الفرنسية والأنجليزية.

لذلك قررت منظمة الوحدة الأفريقية عام ١٩٦٣م بأستعمال اللغات الأفريقية كلغات رسمية إلى جانب اللغتين الانجليزية والفرنسية.

ان تأثير المثقف الافريقى هام للغاية، ولا يوجد حزب سياسى وطنى واحد، من احزاب الشعب الافريقى فى اى منطقة افريقية لا يلعب فيه المثقفون دورا بالغ الدلالة، ان لم يكن دور القائد وما على المرء الا

ان يذكر اسماء بعض الشخصيات الوطنية البارزة فى افريقيا– دكتور نكروما، دكتور باندا، دكتور كيانو، دكتور مومى، جوليوس نيريرى، جومو كنياتا، كينيث كاوندا، ليوبولد سنجور. ولا تزال القارة الافريقية تزخر بالكثير من المثقفين. بل وبعد تحرر القارة من براثن الأمبريالية الاوروبية (الاستعمار) اصبح دورالمثقف الإفريقي أهم واخطر للنهوض ببلاده التى لطالما عانت من استنزاف مواردها وخيراتها.

بدايات الصحافة الافريقية وكفاحها ضد الامبريالية الاوروبية

فى السنوات االماضية تأسست منظمات ثقافية وصدرت صحف وطنية ،كما انشىء عدد من الجامعات والمعاهد فى البلاد الافريقية ،وأسفر ذلك بدوره عن زيادة عدد المثقفين الافريقيين، ربما اختلفت افريقيا التى نعرفها اليوم عن افريقيا المكبلة بقيود الامبريالية الاوروبية فى الماضى، وربما اختلف ايضا مثقفى اليوم عن مثقفى البارحة اللذين لعبوا دورا هاما فى تحرر القارة الإفريقية، وهو دور يختلف عن دور العمال والزراع وقادتهم فى النقابات.

لقد كان المثقفون يعملون على تطوير مذهب يقوم على مفاهيم جديدة لقيم الثقافات الإفريقية المحضة، وكان منبر هذه الجهود مجلة شرعت تصدر فى باريس سنة ١٩٤٧ م اسمها " الوجود الافريقى "

ما حدث أن استحوذت مجلة على نفوس الأفريقيين من المستعمرات الفرنسية، ولا يعرف أحد مجلة واحدة أحدثت الأثر الذى أحدثته هذه المجلة فى تلك الفترة. كان يكتبها كتاب وعلماء فرنسيون أمثال "أندريه جيد" و"ثيودور موند".

وكان ثيودور واحدا من رعاتها ،كما كان كذلك "ايمى سيزار" الشاعر الذى قدم فرنسا صبيا وعاش فيها حتى أصبح واحدا من شعرائها المرموقين، ولكن لجنة التحرير كانت مكونة من أربعة أفريقيين فقط وثمانية من الفرنسيين، وعام ١٩٥٥م اختفت الوجوه الفرنسية، وأخذت مقاعدها وجوه أفريقية، وشرعت المجلة فى نشر "سلسلة جديدة" من الكتب الملحقة لها والكتيبات.

اشترك فى اللجنة الجديدة للمجلة التى كانت أكثر عددا وأفريقية خالصة،عدد من شباب المستعمرات غير الفرنسية أمثال "بوباكو النيجيرى" و"بوسيا" "وكوجو" وكلاهما من غانا و"ادافدسن نكل" من سيراليون.

عبر "أندريه جيد" وحرر المجلة "اليون ديوب" عن توجه مجلتهما فى مقدمة كتباهما للعدد الأول، تحدث جيد وافاض فى الحديث عن أثر أفريقيا على فرنسا، وتحدث "اليون "عن عن أثر فرنسا على أفريقيا، وعلى أختلاف النهجين وضحت فى المقدمتين نظرة انسانية

عريضة، تشير الى الذى يمكن أن تضيفه كل الجماعات الأنسانية للتراث البشرى والمعارف المشتركة والفن والفلسفات الأخلاقية.

كان كما قال "جيد" فى مقدمته "مهما كانت غنية حضارتنا واسرة للعقول، ومهما كانت ثرية ثقافتنا تأسر الوجدان، عرفنا اخير اننا لسنا وحدنا فى الميدان، لغيرنا حضارات وثقافات كنا عنها غافلين. تبدو لنا وسائل عيشنا وقيمتنا ودياناتنا وعقائدنا، وكأنها الوحيدة، لأننا من صنعها هى، ولكنها ليست وحدها كما تبين اخيرا لنا. نحن لا نملك كل شيء. أرى ثلاث فترات فى أفريقيا وثلاثة اتجاهات، وما عرفنا نحن الا الاخيرة. أدركنا فى النهاية أننا لا نسعى لنعين ونرفع من مكانة الأفريقى فى موكب الحضارة وأن نعلمه أكثر وأكثر. عرفنا أخيرا أنه ينبغى لنا أن نفتح اذهاننا لنتعلم منه،وقد انتهت الان – او ينبغى أن تنتهى – فترة استغلاله وفترة الحسرة على حاله. ومضى يقول "أن المجلة تقترح برنامجا ضخما وهو أن ترحب بكل شيء يعين قضية الأفريقيين، وبأى صوت يستحق أن يسمع".

أما محرر المجلة "ديوب" فقد بدأ مقدمته بمثل يقول "لا يستوى الذين يأكلون ما يكفى كى يعيشوا، والذين يأكلون ما يكفى كى يسمنوا " ومضى يحدد سياسة المجلة "هذه المجلة غير مقيدة بمذهب سياسي أو فلسفي. أنها لكل الطيبين الخيريين من بيض وصفر وسود، لكل

الذين يريدون عوننا على تعريف الأبداع الأفريقي والذين يريدون أن يسرعوا بنا الى العالم الحديث".

صدرت المجلة مقسمة صفحاتها ثلاثة أقسام أساسية، كما خطط المحرر منذ البدء حين قال: "أن القسم الأول سيتفرغ لدراسات متخصصة يكتبها باحثون متفقهون فى ثقافة وحضارة أفريقيا ،تصحب هذه الدراسات دراسات متعمقة عن وسائل صهر الأفريقي فى الحضارة الغربية، وقسم نعده أهم الاقسام يتخصص فى نشر الكتابات الأفريقية فى حقول الأدب والقصة القصيرة والرواية والمسرحية، واخيرا قسم يعنى بالتعريف على فكرة العالم الاسود وفنونه".

لكن هذه النزعة الانسانية التى خرجت المجلة لتدعو لها، لم تعمر طويلا فقد ادركتها عواصف الوطنية الكاسحة، تجد شاهد فى العدد الثانى فقد خرجت تحمل اصوات قوية من أدب الاحتجاج على الاستعمار، وما كان فى طوق المجلة الا ان تسير مع الرياح الجديدة،وهى التى وعدت ان تكون أداة التعبير عن الفكر الأفريقي.

توالت أصدارات المجلة عاما بعد عام ورصدت نمو الحركة الوطنية فى كل أوطان القارة. ولعل اهم عدد فى نظرى هو العدد الخاص عن الثقافات العالمية ذات الجذور الافريقية.

فـى اكتـوبر عـام ١٩٦٢م صـودر العـدد ٤٣ مـن مجلـة الوجـود الإفريقـي، بعد أن رأت الحكومـة الفرنسـية أن المقـالات التـى نشـرتها المجلـة فـى ذلك الحين تعتبر تهديدا لأمن الدولـة؛ وكانـت هذه هـى المرة الأولى التى تصادر فيها هذه المجلة.

عام ١٩٦٣م أصدرت هذه المجلة عددها الثانى والسبعين وزاد الكثير من أعدادها الخاصة على ٤٠٠ صفحة.

سرعان ما أصبحت مجلة الوجود الإفريقي دار للنشر؛ بأن اصدرت أعدادا خاصة ثم اتخذت بعد ذلك شكلا أخر هو إصدار مجموعات مختلفـة مـن الكتـب، فنشـر اليـون ديـوب وأصـدقاؤه عـدد مـن الكتـب المهمـة للمؤلفين الأفريقيين ولاقوا نجاحـا فـى ذلك المجال أيضـا لأن المثقفين الافريقيين الذين كثيرا مـا كـانوا يضـطرون فيمـا مضـى إلـى طبـع مؤلفـاتهم علـى نفقتهم، قد وجدوا بذلك ناشرا كرس جهوده لفتح ابواب الشهرة امامهم.

لم تكن مجلة الوجود الافريقي وحدها التى قادت الأفارقة الى الوعى الثقافى ولكن سبقتها عدد من الصحف الأخرى نذكر منها:

- مجلـة "تـام تـام" أصـدرها بعـض مـن الطلبـة الافـريقيين الكاثوليك وكان مقرها باريس.

- مجلة "الـه الموسيقى الأسود" اسسها أوروبيان من دارسى الشئون الأفريقية هما " اوللى باير" و"جابهاينزجاهن".
- مجلة "صباح السود" وهى ذات اتجاه شيوعي ومنعت من الصدور.
- عام ١٩٣٤م أصدر سنجور وداماس واخرون مجلة "الطالب الاسود" التى جمعت هيئة تحريرها لأول مرة الافريقيين وشباب جزر الانتيل ولكنها كذلك لم تستمر طويلا.

ولكى نقيس مدى الصعوبات التى واجهت تلك النهضة يكفى أن نذكر العواصف التى اطاحت بمجلات السود المثقفين التى اسست فى باريس بين الحربين، فقد أنشأ مجلة " الدفاع المشروع "عام ١٩٣٢م ثلاثة شباب من شباب الانتيل هم "جول مونروت" و"اتيين ليرو" و"رينييه ميشيل" ولكنها لم تصدر غير عدد واحد.

لقد ظهرت معظم الصحف فى إفريقيا جنوب الصحراء بعد الحرب العالمية الثانية، وهى وإن بدت تسيطر عليها سلطات الاستعمار تارة والمستوطنون تارة أخرى منذ البداية، فقد كانت مسرحا لجدل سياسي وثقافى فى أعقاب الحرب الأخيرة ومظهرا لوعى سياسي متطور، وكانت أبرز ما تكون فى ساحل غانا وافريقيا الغربية البريطانية عموما فكان ثمة مثلا فترة ما فى نيجيريا الشرقية أربع صحف وفى غانا بلغت الصحف التى كان يديرها الإفريقيون ست صحف رئيسية

تحرر باللغة الانجليزية وبلغت فى كينيا اربع مجلات أسبوعية تكتب منها ثلاثة باللغة السواحلية وواحدة بالكيكويو من ٢٢ صحيفة، وكان يحررها المستوطنيون وظهر فى تنجانيقا حوالى ١٢ صحيفة كان منها ست صحف تحرر باللغة الانجليزية وصحيفة باليونانية وصحيفتان بالهندية والباقى يحرر بالسواحلية وثمة فى تنجانيقا صحيفتان يوميتان أوسعها انتشارا هى "تنجانيقا ستاندرد "التى كانت تصدر باللغة الإنجليزية والثانية تحرر بالسواحلية ويملك الافريقيون جريدة "يوكانا جاندى" وتحرر بالانجليزية والسواحلية.

أما فى افريقيا الفرنسية فلم يكن ثمة صحيفة واحدة تصدر باللغة المحلية لسيطرة الثقافة الفرنسية، فجميع أنواع الصحف تصدر باللغة الفرنسية، فكان بالسنغال عموما وداكار تحديدا سبع صحف تحرر بالفرنسية وتعتبر لغة للكتاب والصحفيين الوطنيين.

لقد استطاع المجتمع الإفريقي جنوب الصحراء أن يتطور، وأخذ يتسم بأفكار جديدة، حتى وجد نفسه بين اتجاهين متناقضين: الاول كان اتجاه الاستعمار الذى سيطر على معظم نواحى الحياة السياسية والأقتصادية والأجتماعية، والثانى: اتجاه المجتمع الحديث الذى يتسم بأشراقة الوعى السياسي والحركة الفكرية.

الأسطورة فى الادب الشعبى الافريقى

أن الحكايـة والاسـطورة تشـكلان جانبـا بـالغ الاهميـة مـن الشـعور الجماعى للشعوب الافريقية، فهى شعوب بلا كتابة، تعتمد فى المقام الاول علـى الادب الشـفاهى، وقد كانـت هـذه الاسـاطير والحكايـات تـروى للافارقـة – ولاتـزال حتـى الان – خـلال سـهراتهم بعـد اعتـدال حـرارة الجـو ،ولـذلك نجـد فيهـا شـيئا مـن التكراريقـوم بـه الـراوى أذكـاء للانتباه وقد يتخللها شىء من النفحات الشعرية التى تنغم على ايقاع الطبول (التمتيمات الافريقية) فهنا يتجلى حقا الطابع الشعبى لهذه الاساطير والحكايات.

والبيئـة الزنجيـة الافريقيـة بيئـة روحيـة متشـبعة بـأحترام أرواح الاقـدمين خشـية مـن أذاهـا أذا غضـبت؛ وتمتعـا بحمايتهـا أذا اشـفقت، فهـم يؤمنون أن الاجداد الاولين لا يزالون أحياء فى عالم الارواح كما فى الاجيال الراهنة والمقبلة، مما يتوجب على هذه الاجيال قاطبة أحترام تلك الارواح بالحفاظ على كيان القبيلة وتراثها.

ويتسـم ذلـك الادب التقليـدى (أدب الأسـطورة) بطـابع السـذاجة والبعـد عـن حقيقـة الامـور الواقعيـة، وتتجلـى هـذه السـمة فـى الميـل الـى التخريف الخيالى.

والاديب الزنجى السنغالى "ليوبولد سيدارسنجور" ينوه بقدرة بنى عرقه على اطلاق العنان لمخيلاتهم وعلى الابتداع والتفسير للامور الخارقة لان كل أمر أسطورى لا يتحلى بما هو خارق للواقع يبث الضجر فى نفس الافريقى ويغمسها فى ملل عميق.

ومن هنا كانت أهمية الادب الشعبى الافريقى أنه وثيقة مهمة تستحق التأمل والدراسة لانها أولا وقبل كل شىء تصوير فنى لموقف الانسان الافريقى من الحياة والاحداث من حوله، كما أنه تعبير عن ذاته ووجدانه واحساسه ومشاعره، وكما أن تلك الاساطير تمثل موقف الانسان من قوى الطبيعة ومحاولة تفسير أسبابها.

ولا خلاف على أن الكلمة هى ينبوع الحضارة الافريقية قولا كانت او ايقاعا أو رمزا وتشكل الانساب والحكايات الاسطورية والقصص والامثال والالغاز جوهر أدبها الشفهى.

وليست الشفاهية المحض علامة عجز مستنكر، فألادب الاغريقى مثلا أنتج أنقى روائعه (الالياذة والاوديسا) حينما كان الكلام مهيما على الكتابة الى حد كبير (قبل الميلاد بنحو تسعة قرون) واليوم أيضا كل مجتماعاتنا فالشعار السائد بأن (كل عجوز يموت هو مكتبه تختفى).

ويتحدث الكاتب "برنارد داديبه" فى كتابه عن القصص الخيالية فى أفريقيا السوداء – دور الاسطورة فى ثقافة الأفريقيين – " كان الحفاظ على التراث القديم ضرورة لا ريب فيها، أذ لا يوجد شعب مالم تظهر عنده هذه المسئوليات، ولكن يهمنا جدا تحليل اسباب بعث هذه الاداب، ففى عودة الكتاب الأفريقيين نحو التراث الأدبى المتوارث إنما أرادوا من ذلك تقدير قيمته وتخصيص دوره لا مجرد أشباع فضول من اثار الماضى، وأن إعلان الإفريقيين للقيم الروحية والأخلاقية والتعليمية والتاريخية لقصصهم وأساطيرهم، إنما كان هذا ردا على مزاعم أصحاب الرأى الخاطىء من الاوروبيين الذين يدعون بأن الشعوب الأفريقية شعوبا لا أدي لها ولا ثقافة ،ذلك لأنها شعوب لا تعرف الكتابة.

هذا ويمكننا القول ايضا أن الادب الافريقى الزنجى التقليدى هو أدب تسجيلى لحركات الجسم ووضعاته حيث لا تتواكب الصلوات والقرابين بطقس من الحركات المنظمة بدقة وحسب، بل لا نتصور قصصا أو حكايات رمزية كان؟ أم اساطير دون أيمائية ملائمة دون قواعدية الحركة ونحوية التنغيم اللتين تشكلان حامله الضرورى.

وخلال الاساطير والادب الشعبى الزنجى ينقل الاباء للابناء خبراتهم بطرق تعبيرية سهلة الحفظ مثل معارف نشأة الكون وتاريخ القبيلة والقوانين الاجتماعية وأصل المنتجات المختلفة والمعتقدات الدينية

والعلاقات مع القبائل الاخرى وتاريخ الابطال الاسطوريين والروابط الطوطمية بين الحيوان والقبيلة.

للأسف حاليا تأثرت الاساطير الافريقية ببعض الحكايات التي دخلتها إبان الاستعمار وحقبات أخرى لكن لايزال هناك الكثير من اساطيرهم وحكاياتهم لم يتم تسجيلها بعد على ورق.. يبدو أنهم يقومون بنقل مواريثهم الدينية والادبية شفهيا بسرية تامة بحيث لا يُسمح لغريب ان يعلم ولو اقل معلومة إلا مايسمحون له ان يعرفها.

وتنتشر القصص الشعبية في إفريقية إلى جانب الشعر والأساطير، وأشهرها وأكثرها انتشاراً قصص الحيوانات الماكرة، ومثالها عند شعوب البانتو في شرقي إفريقيا وأوسطها وغربها وفي غربي السودان الارنب البرى، وفي غربي إفريقية العنكبوت. وتتميز هذه الحيوانات عندهم عادة بالحيلة والدهاء تهزم بهما أعداء أكبر منها وأقوى على الرغم من كثرة أخطائها التي تمتع المستمعين وتضحكهم، فحين سرقت السلحفاة سلة الحكمة من الآلهة وحاولت الهرب بها، اعترضتها شجرة لم تستطع تخطيها، لأنها على غفلة من أمرها علقت السلة في عنقها بدلاً من أن تحملها على ظهرها، وحين عجزت عن انتزاعها من رقبتها تناثرت الحكمة في العالم منذ ذلك الحين. أما العنكبوت فيبدو في هذه القصص شخصية أسطورية، وخصماً عنيداً لإله السماء، يسرق قصصه ويخدعه، وهو بذلك يشبه

إيشو إلـه يوروبـا المخـادع الـذي يعتـرض الآلهـة الآخـرين ويعرقـل أعمـالهم ويعطـل نوايـاهم. ويتفـرع مـن قصـص المكـر هـذه قصـص الهـروب التـي يبحـث فيهـا البطـل عـن مخـرج مـن مهمـة مسـتحيلة وضعته الظروف فيها.

ويعتمـد فـن الحـديث عنـد الأفارقـة علـى الأمثـال اعتمـاداً واسـعاً، ولا يخلـو جـدل أو حـديث عنـدهم مـن مثـل يـدل علـى علـم المتحـدث وخبرتـه، وغالبـاً مـايكتفى بقـول نصـف المثـل، ويتـرك النصـف الآخـر للسـامع يكملـه، وتعبـر هـذه الأمثـال عـن حكمـة هـذه الشـعوب وتجاربهـا وأخلاقهـا وسـعة خيالهـا، وقـد اسـتطاع أحـد أفـراد بعثـة سويسـرية تبشـيرية وهـو ج. كريسـتالر جمـع أكثـر مـن ٣٦٠٠ مثـل بلغـة التـوي.

كـان الجمهـور المتلقـى للحكايـات الشـعبية فـى المجتمعـات الإفريقيـة التقليديـة يتكـون مـن مختلـف الأعمـار، ومـع اختـلاف درجـة اسـتيعاب كل فـرد منهـم، يتحلقـون حـول الـراوى فـى سـاعات المسـاء خاصـة حيـث يواجههـم فـى نصـف دائـرة ليتمكـن الجميـع مـن رؤيتـه بوضـوح وسـمات صـوته بأنتبـاه، ويسـتطيع هـو أيضـا رؤيتهـم والـراوى والراويـة "قـد يكـون أمـراة " متعـدد الوظـائف، فهـو ممثـل وشـاعر وراقـص ومغـن، وهـو بحاجـة الـى توظيـف ذلـك فـى أدائـه لإغنـاء الحكايـة وإيصـال دلالاتهـا للمتلقـى.

وقد يكون الراوى أحد كبار العائلة أو القبيلة كالجد أو الجدة، وبعضهم ذو شهرة واسعة فى هذا المجال، حيث يعتبرون سجلا لتاريخ العائلات والقبائل والأحداث التاريخية والكوارث الطبيعية ويسميهم البول فى مالى "أسياد الكلام".

يقول جان كلودروف فى كتابه "كلام الراوى " "إن اولى أدوات الراوى هى ذاته، لا أقول صوته فقط ولكن شخصيته، جسده، مدى اللذة التى يشعرها حين يروى، وهناك قدرات على الراوى أن يتمتع بها أو يدرب نفسه عليها ويتقنها لينجح فى مهمته وأهمها: –

- الفصاحة والتعبير ببلاغة، بحيث يقنع جمهور المتلقين برسالة حكايته ودلالاتها.

- التمتع بذاكرة يقظة ونشطة قادرة على الحفظ واستعادة الحكايات والمرويات أيا كان مصدرها، وقد يكون عمرها تجاوز القرون.

- على الراوى التحلى بروح المرح بحيث يتمكن من تسلية جمهوره.

- الخيال والثقافة التقليدية التى يتعلمها من كبار وحكماء القبيلة.

أن الادب الشعبى الافريقى جديربأن يتبؤ مكان الصدارة بين الاداب الشعبية فى العالم، وهو تعبير عن امال الشعوب وتطلعها الى غد مشرق.

وهذه اسطورة من أشهر الاساطير فى الكونغو

السلحفاة والثعبان أسطورة من الكونغو

في يوم ما من الأزمنة الماضية تصادقت سلحفاة وثعبان. . عاشا سويا في نفس المكان، فأكلا سويا من نفس الإناء وكانا سعيدين.. الثعبان يدعى (أوجولا) ذات يوم كان جائعا فقال لنفسه: لماذا أدع السلحفاة تشاركني طعامي؟ فلف نفسه حول إناء الطعام ولم يدع السلحفاة (إيميبا) أن تمد يدها للإناء لتناول الطعام معه.. وايميبا كانت جائعة جدا فنظرت إلى الإناء فرأته مملوءا بأشهى الطعام ورأت اللحم والفاصوليا والخضروات ثم انتحت جانبا وهي تنظر إلى أوجولا وهو يلتهم الطعام بشراهة!!

إيميبا السلحفاة سألت أوجولا الثعبان:

لماذا لا تدعني أتناول الطعام معك ؟

إني جائعة ماذا جرى لك ؟ ألم نكن نأكل طعامنا سويا ؟ أوجولا قال لها: أنا أكبر منك.. أنظري إني أستطيع أن ألف نفسي

حول الإناء فهذا الطعام لي وحدي، إنه يكفيني لوحدي فقط!!
السلحفاة فكرت بما قاله الثعبان (أنا أكبر منك أنظري إني أستطيع أن ألف نفسي حول الإناء فهذا الطعام لي لوحدي، إنه يكفيني لوحدي فقط)

في اليوم التالي صنعت السلحفاة (إيميبا) لنفسها ذيلا من الحشائش وألصقته بذيلها ثم لفته حول آنية الطعام وبدأت في التهام الأكل!!
أوجولا لم يجد مكانا له ورأى الإناء مملوءا بأشهى الطعام فرأى اللحم والفاصوليا والخضروات، وكان جائعا وما يراه في الإناء هو وجبته المفضلة!!

أوجولا (الثعبان) سأل إيميبا (السلحفاة):

لماذا لا تدعيني أتناول الطعام معك.. إني جائع.. ماذا جرى لك ؟ ألم نكن نأكل طعامنا سويا ؟

فأجابته إيميبا: بالأمس كنت كبيرا وأنا صغيرة، أما اليوم فأنا كبيرة كما ترى!!

أوجولا انتحى جانبا وهو ينظر إلى إيميبا وهي تلتهم الطعام وهكذا تنتهي الأسطورة في أن السلحفاة التي تعيش على شهرة ذكائها تخترع وسيلة تهزم بها منافسها.

الاسطورة فى الادب الشعبي الافريقي

ملامح القصة القصيرة فى الادب الافريقى

يري ستيفن كينج القصة القصيرة شي مختلف ويصفها بأنها مثل قبلة في الظلام من غريب. لورى مور أيضا تصف القصة القصيرة كما لوأنها علاقة حب.. والرواية كما الزواج.. القصة القصيرة كما صورة.. والرواية مثل فيلم.

الادب الافريقى له ارث ضارب وماض تاريخى، عاش قرونا طويلة على الاتصال الشفهى ولم يدون منه الا القليل بسبب صعوبة الجمع والتدوين وكثرة اللغات المحلية غير المكتوبة.

أما فى العصور الامبريالية، بدأ المستعمر الاوروبى يفرض تعليم لغته على البلاد وفى ظل ذلك الفرض استطاعت ثلاث لغات

اساسية أن تسيطر على مفهوم الكتابة فى القارة السمراء وأضحت تحمل وحدها مهمة التعبير الادبى، وهى اللغات الانجليزية والفرنسية والبرتغالية. وفى بداية التكوين الحقيقى فى افريقيا واجهت تلك اللغات منافسة ما من لغات مثل السواحلية فى الشرق أو الهوسا فى الغرب ولغات اخرى محلية، لكن سرعان ما انتهت تلك الندية ولم تصمد، فسهولة الكتابة والنشر عبر اوروبا، اضافة للتبشير المسيحى، وايضا انصراف المهتمين ونقاد الادب الافريقى الى المكتوب بلغة معروفة لهم كان عاملا حاسما فى ترسيخ هذه النزعة.

لقد ترعرع الأدب الإفريقي في ظل الجدل الاستعماري حول تاريخية الإفريقيين، وبقيت ملامح التحدي والاحتجاج موسومة على جبين الأديب الأفريقي يخطب إقناع قارئه ويعرفه بخطل دعاوى الاستعمار، وعدم صلاحية فلسفته للمجتمع، وهو ما يعبر عنه الروائي النيجيري الكبير شينو أشيبي بقوله: "سأكون جد سعيد إذا لم تحدث رواياتي أثرا على القراء سوى إقناعهم بأن ماضيهم لم يكن أبداً سوى ليلا طويلا من الهمجية، أنقذهم منها – لوجه الله– أول طارق أوربي."

لقد عبر الادب الافريقى عن القضايا الافريقية المختلفة ومساهمة ذلك الادب فى الحركة الوطنية ،فقد ارتبط الادب الافريقي بقضايا القارة وتميز بالتلقائية فى التعبير الى حد يصل للسذاجة فى بعض

الاحيان، واختفت تعبيرات السفسطة والعقلانية اللتين كانتا سمة من سمات الادب الاوروبى ،كما تميز ذلك الادب الى تغليب الذات على الموضوع حتى تصل الى ان تكون نتاج تجارب ذاتية للكاتب.

ومن بين انواع الادب المختلفة برزت القصة القصيرة بملامح افريقية ،لقد تأخرت القصة القصيرة فى الظهور ،ربما لانها تأخرت اصلا فى اوروبا عن الرواية، ولكن السبب الاقوى فى تأخرها هو عدم تشجيع الصحافة لها فى البداية، فمن الثابت أن اقدم صحيفة غير اوروبية فى المناطق الافريقية هى جريدة "الرأى الزنجى " التى ظهرت عام ١٨٧٠م بلغة السوتو فى أقصى الجنوب، وقد أسسها نفر من الافريقيين الذين تعلموا فى مدارس الارساليات المسيحية ،وتبعتها صحف اخرى ولكن كانت جميعها قصيرة العمر.

وفى كتاب "الادب الافريقى" للدكتور والناقد على شلش، اوضح لنا انه لم تحدث محاولات وطنية فى كتابة القصة القصيرة على النمط الاوروبى فى البداية، ولكنها كانت جميعا محاولات لكتابة قصص يغلب عليها الفقر من ناحية، واستيحاء الحكايات الشعبية من ناحية اخرى، ولم يحدث ان تطورت هذه المحاولات على الطريقة الاوروبية الا فى خمسنيات القرن الحالى، ومنها ما نشره "ب. سنكو" عام ١٩٥٦ م وأبرزها قصة بعنوان "براعة امراة " حيث تدور بمدينة جوهانسبرج، وهى عن امراة تشقى وتكدح فى سبيل تعليم أبنها

،فتعمل خادمة وتتضور جوعا فى حين أن الابن منشغل عن تعليمه بالمدينة، وبهذه الطريقة تمضى القصص وتقوم على المفارقة أو التحول المفاجىء ولكنها لا تكف عن اقحام الوعظ والارشاد.

ومنذ الخمسينات نشط بعض كتاب اللغات المحلية فى جمع الحكايات والاساطير الشعبية وتنقيحها واقتباسها.

وتتميز القصة القصيرة الافريقية بالطابع الافريقى والضحك البرىء او الفكاهة والرهافة ولا سيما عند الكاتبات ،تصوير العنف بفجاجة وهو غير مصحوب بالتبرير الكافى، وأيضا الاقتباس من التراث الشعبى والغنائية. لقد حلّت الكتابات الذاتية كبديل لتجربة حديثة تسلّط الضوء على المعاناة الفردية ونموذج يعكس راهن المجتمعات والمجتمع الإفريقي واحد منها.

اما الدكتور سمير عبد ربه صاحب كتاب " نصوص قصصية من روائع الادب الافريقي " فقد طرح في كتابه مجموعة من الابداع الافريقي.. يرحل بنا إلي العديد من بلدان هذه القارة الغنية، إذ يقدم لنا قصصا لأدباء من جنوب أفريقيا، والسنغال

وكينيا وسيراليون نطالع فيه تسعة أدباء، أبرزهم نادين جورديمر الأديبة الجنوب أفريقية، والحاصلة علي نوبل عام ١٩٩١م وحزقيال مقاليلي الملقب بعميد الأدب الأفريقي، وأغزر الأدباء الأفارقة إنتاجا،

إلي جانب أليكس لاجوما وجيمس ماثيوز وبيراجو ديوب وسيمبن عثمان وأبيوسيه نيقول وباربرا كيمني وجيمس نجوجي. وقدمت هذه النماذج الإبداعية المنتقاة بعناية أبرز الملامح الفنية التي يتمتع بها السرد الأفريقي، مثل: الهروب الرومانتيكي من الواقع إلي عالم الخيال، والاحتجاج، والسخرية التي هي مزيج من الاحتجاج والقبول.

ويؤكد المترجم أن القاص الإفريقي ابتدع شكلا جديدا في القصة القصيرة ولنأخذ مثالا علي ذلك قصة "سارزان" للكاتب السنغالي"بيراجوديب" حيث الاستخدام الرائع للشعر والنثر معا، والتي تذكرنا بالكاتب الأفرو أمريكي "جين تومر" في رائعته Caneهذه النماذج القصصية، ليست إلا محاولة للإشارة إلي ما حدث من تطور للشكل الفني للقصة القصيرة الإفريقية، وتعد هذه القصص نوعا من الهجين الأدبي، أي أنها ترتكز علي خلفيتين مختلفتين كل الاختلاف، (إفريقيا والغرب) وهنا يمكن القول إن إفريقيا والغرب، هما الموضوع الغالب علي معظم قصص هذه المجموعة، ذلك الموضوع الذي يمثل تصادم الحضارتين، إنه الموضوع الأكثر شيوعا في الأدب الأفريقي بمختلف أشكاله.

وخلاصة الامر أن اجواء القصة الافريقية تدور حول مواويل الحرب والعنف والحب وايضا الفساد السياسى والفقر والجوع، لكن لا تزال

القصة الافريقية فى طور التجريب ومغرقة فى التكوين التقليدى ،ولم تعد أكثر من هامش للرواية.

أشهر الجوائز الأفريقية للقصة القصيرة

جائزة "كين " أو ما يعرف فى الوسط الثقافى الأفريقى بجائزة البوكر الأفريقية التى تمنح كتاب القصة القصيرة الأفارقة، عن قصصهم المترجمة إلى اللغة الانجليزية ،وقد بدأ منح تلك الجائزة عام ٢٠٠٠م وكان أول الفائزين بهذه الجائزة الكاتبة السودانية "ليلى أبو العلا" عن قصتها " المتحف".

نادين جورديمر الأديبة الجنوب أفريقية، والحاصلة علي نوبل عام ١٩٩١م

دور المسرح فى التنمية الثقافية فى افريقيا

اذا كان المسرح هو المراة التى تعكس بطريقة مبهرة ظاهرة او حدثا مهما فى حياة شعب ما، فمن المؤكد ان المسرح او النشاط الذى يتبعه هو جزء لا يتجزء من التراث الثقافى فى افريقيا.

والمسرح فى افريقيا هو وسيلة الشعوب الافريقية فى التعبير عن احلامهم وبلورة معتقداتهم القديمة، كما يعبر عن الموروث الثقافى للشعوب الافريقية. والأفريقى لا ينطق بشىء جدى أو غير جدى دون أن يدخل فى الحكم والأمثال.

وقد أكد مؤرخو المسرح الافريقى أن افريقيا القديمة كانت تقدم عروضا تمثل المسرح الاصيل، ولقد قضى الاستعمار على تلك الاشكال الاصلية واستبعدها ولكن بقى منها بعض البذور التى ساهمت ولو بقدر ضئيل فى احياء الفن المسرحى الافريقى وازدهاره.

وهناك سمة مميزة للمسرح الافريقى يشترك فيها معظم البلاد الافريقية من السنغال الى زائير مرورا بمالى وساحل العاج وجمهورية بنين ونيجيريا الا وهى اختلاط العروض المسرحية والتمثيل فيها بالطقوس الشعائرية.

ففى بلاد الماندنج يقوم الشباب بالتعبير عن الحرمان الذى يعانونه عن طريق عروض زاهية غنية بالقريحة يسخرون فيها من المتزوجين الذين يكبرونهم فى السن

وفى بلاد افريقية اخرى يقوم العرض المسرحى على الطقوس الدينية التى تمجد بطولات الاجداد وهم يرتدون الاقنعة التى تمثل الحيوانات.

ومن الأشكال الدرامية فى هذا المسرح التقليدى ما يعرف بأسم "الأنشاد" حيث تنشد جلائل أعمال الأسلاف وماثرهم وما يمكن أن يسمى "المناظرات" الكلامية التى تدور بين اثنين لترسخ لمبدأ معين يعتز به الافارقة.

وعلى الرغم من الأثر الذي تركته المسارح الغربية في بناء المسارح الإفريقية، إلا أن معظم المسرحيات الإفريقية تُؤدى في الهواء الطلق، ولكن مع ذلك توجد بعض المسارح المرنة مثل مسرح الكودزيان (دار القصة) في آثيوا بجمهورية غانا.

وإذا كان المهتمون بالمسرح يؤرخون لبداية المسرح بعام ٤٩٠ ق.م الذي عرضت فيه مسرحية " الضارعات " لأبي المسرح الإغريقي " إسخيلوس"، فما ذلك إلا لأن الحضارة الإغريقية عرفت الكتابة، والتدوين في وقت مبكر، على حين غيرها من الحضارات بما في

ذلك الثقافات الإفريقية ما عرفت الكتابة والتدوين إلاّ في الشمال الإفريقي، في حين تأخرت الكتابة والتدوين كثيرا في الجنوب، أي جنوب الصحراء الكبرى، وبطبيعة الحال ظل المسرح في تلك المناطق على مدى القرون نشاطا شفويا ومرتجلا شأنه في ذلك شأن الأدب الشعبي، ولا يزال في مناطق عديدة بإفريقيا جنوب الصحراء على نشاطه الشفوي، وإذا كان في القرون السابقة يركز المسرح الإفريقي الشفوي على الأغراض الدينية، أو الشعائرية، والمناسبات الاجتماعية، فإن أغراضه بداية من القرن العشرين، وصار له مؤلفوه، وأضحى أداة للوعي الاجتماعي، والسياسي، ووسيلة مقاومة زمن التحرر من الاستعمار الغربي.

لقد انعكس التطور فى افريقيا فى مجالات مختلفة على تطور المسرح والذى كان نتاج للنمو الثقافى العام الذى مس كل المجالات.

والمسرح فى افريقيا يعكس الوعى الثقافى والسياسى والدينى فى ذلك الوقت للشعوب الافريقية، ويظهر دور المسرح الافريقى فى النمو الثقافى دون منازع.

أن الوعى بالدور الرئيسى الذى يقوم به المسرح يظهر بوضوح بعد تبنى الكتاب والشعراء الافارقة الزنوج لهذا النوع من المسرح "ايميه سيزار"، "سنجور" و"داديبه "، "وول سوينكا".

وأذا كانت المسرحيات المكتوبة باللغة الافريقية نادرة، فلقد تم التغلب على مشكلة التواصل بينها وبين الجمهور عن طريق ترجمة الاعمال المقدمة الى اللغة القومية.

ولقد اثر المسرح التقليدى على المستوى الشعبى فى افريقيا من خلال الجمهور الذى كان فعالا ويشارك فى الاداء بجدية وبطريقة ايجابية.

ولقد قام هذا الجمهور بالتعبير بتلقائية ودفع الممثلين الى الصياح والضحك والبكاء.

ان جميع أنحاء أفريقيا شهدت تقديم عروض يختلط فيها التمثيل بالطقوس الدينية، وفي كثير من بقاع القارة الأفريقية كان للمسرح أصول اجتماعية أيضا، فقد نشأ للسمر والتسلية، وهو بذلك يؤدي دوراً جمالياً يقوم على المتعة والفائدة. وهكذا فإن المسرح الأفريقي التقليدي لم ينفصل عن الحياة الجماعية فمهمته هي توصيل ما يريد التعبير عنه. ويشير فرانسواز ليجيه إلى شدة الصلة بين المسرح الأفريقي التقليدي والمجتمعات الأفريقية فيقول: "لقد قدم المسرح كل ما يعبر عن موروث هذا الشعب سواء في شكل رقصات وملاحم أو احتفالات شعبية أو كل ما يدور في الحياة من مناقشات فارغة ومواقف وأنماط مختلفة من الناس. وبهذا المعنى يمكن القول أن أفريقيا قد عرفت المسرح التقليدي منذ زمن قديم للغاية، فارتباط

الأفارقة بالطقوس والشعائر الدينية أمر ثابت، وممارسة الأفارقة للرقص لا تحتاج لتعليق.

لقد كانت معظم الأعمال تدور حول الأساطير والحكايات والخرافات والعادات والبطولات وأمجاد الأسلاف والأخلاق والسلوك.

ويتميز المسرح الإفريقي التقليدي بعدد من السمات الشكلية التي تميّزه عن نظيره الحديث، ويشير بيشنس أومولولا Patience Omolola لبعضها فيقول: «يقدّم الفنانون التقليديون عروضهم في الأماكن العامة، ويكمن تفرد عروضهم في اعتمادها على الذاكرة، بالإضافة إلى استخدامهم للغة الجسد، وتوظيفهم للطقوس، إلى جانب مشاركة الجمهور».

كذلك شكلت العرائس والأقنعة جزءاً من كيان المسرح الإفريقي التقليدي، فقد كان تقمّص شخصيات الأسلاف بارتداء الأقنعة ظاهرة واضحة في الشعائر الدينية لقبائل اليوروبا، كما أنه في التقاليد الدينية لقبيلة الإيبو، حيث يقوم المشتركون في احتفالاتها بتعديل هوياتهم عن طريق ارتداء الأقنعة والملابس المختلفة.

أما أسلوب التعبير وطريقته؛ فيرتكز غالباً على فكرة المكان الدائري، والذي يجمع ما بين الكلمة والغناء والحركة، وكانت هذه الطقوس والممارسات تتطلب بالطبع مكاناً وفضاء يأخذان مسحة مقدسة

بوجود كاهن؛ حيث يُفترض وجود الآلهة، ولذا يجب أن يكون مكاناً يجتمع فيه حشد، وعادةً ما يكون ذلك المكان على شكلٍ دائري

ويعدّ الرقص إحدى السمات الشكلية البارزة للعروض الدرامية الإفريقية التقليدية، وهو غالباً ما يكون مصاحباً لكافة أنواع العروض الإفريقية، دينية أو اجتماعية، كأداء تعبيري، ووسيلة للبوح عمّا في النفس من مشاعر وأحاسيس، ويكاد ألا يخلو عرض درامي تقليدي من مواكبة الرقص له.

وهناك بعض السمات الشكلية الأخرى للمسرح الإفريقي التقليدي، منها أنه: مسرحٌ مجاني للعاملين فيه والمتفرجين عليه، وأنّ الديكور فيه طبيعيٌّ يوحي بالبساطة والثقة، وأنه مسرح لا يعرف البهرجة والمغالاة في الأزياء، وإن كان للأزياء أهمية خاصة لأنها مرتبطة بالشعائر والأسلاف.

لقد وظف المسرح فى بلاد افريقية عدة توظيفا سياسيا ،ففى جنوب افريقيا على سبيل المثال ومنذ احداث ١٦يونيو ١٩٧٥ التى خرج فيها تلامذة المدارس فى مظاهرات احتجاج عارمة وبعدها برز بعض الكتاب المسرحيين مثل "**ماتسيميلا ماناكا** " **و**" **ميشى مابونيا**" وغيرهم، والذين كونوا ورشات صغيرة واقاموا معظم اعمالهم من الناحية التقنية على الارتجال، اى اعداد سيناريو بالمواقف والمشاهد

وترك الحرية للممثل كى يملاء المواقف بالحوار المناسب ،لقد كانت الرسالة وراء ذلك سياسية بالدرجة الاولى وخلاصتها رفض سياسة التمييز العنصرى بالبلاد، وكان على اثارها فى السنوات الاخيرة ان نقابات العمال الافريقيين رحبت بالعروض المسرحية فى مقارها وشجعت على تنقلها بين المعازل المخصصة للافارقة.

وهنا يصل بنا الأمر الى سؤال ملح ،هل المسرح الافريقى التقليدى وصل الى حد الكمال ؟

بالرغم من كلّ مميزات هذا المسرح التقليدي؛ فإنّ المسرحية باعتبارها شكلاً فنيًا مستقّلًا لم تصل إلى مرحلة متطورة كاملة في إفريقيا التقليدية، وكذلك الحال بالنسبة للأداء المسرحي، ولذا لا يمكن القول بأنّ المسرح الإفريقي التقليدي قد وصل لمرحلة الكمال والمثالية، فعلى الرغم من ثرائه وتعدد وظائفه، وعمق وقوة تأثيره، فقد ظلّ مرتبطاً بمجتمعه البدائي، وتوقف عند تلك الدرجة، ولم يتطور كنظيره الأوروبي الإغريقيّ الأصل

وفي هذا السياق؛ لا يمكن إلقاء اللوم فقط على كاهل المجتمعات الإفريقية التي لم تنمّ وتطور مسرحها بشكلٍ مستمر ليصل لمرحلة النضج والكمال، بل إنّ هناك جزءاً كبيراً من المسؤولية عن إعاقة تطوّره يقع على عاتق الغرب وسياساته الاستعمارية، فقد حارب

الاستعمار هذا النشاط الدرامي الاجتماعي وأعاقه عن التطور، واعتبره ممارسات متخلفة، وقام النظام الاستعماري، في معظم القارة، بفرض لغاته ونُظمه التعليمية وأحكامه القيمية، ومفاهيمه، وتصوراته الجمالية عن الأدب والمسرح، على جموع الطلاب والدارسين، وفرض أشكالاً ونماذج مسرحية غربية، مثل: موليير وشكسبير، عن طريق إحضار فرق مسرحية أوروبية من الفرق المتجولة، لتعمل على رفع التذوّق الفنّي للشعب الإفريقي وتعليمه اللغة الأجنبية، وبذلك تم تبنّي المسرح الأوروبي بشكله وموضوعاته باعتباره الصورة المثلى والمثالية

ومن ناحية أخرى، تبنت بعض المؤسسات والإرساليات المسيحية محاربة هذا اللون الدرامي وأعاقته وقامت بتشويهه ومحو الطابع الثقافي له، وأحلّت محلّه أشكالاً جديدة للتعبير، من الأعمال الدرامية المستوردة الشكل والمضمون، وفرضتها على الأفارقة بوصفها الشكل الأمثل للتعبير الدرامي، وبذلك تمّ إحلال مشاهد مأخوذة من التوراة محلّ الطقوس الإفريقية، في صورة عروض مسرحية، مثل قصة آدم وحواء– عليهما السلام–، ويوسف– عليه السلام– وإخوته، ويفسر د. علي شلش لجوء الإرساليات في محاربتها للدراما التقليدية إلى الدراما الأوروبية التعليمية الحديثة والدينية بوجهٍ خاص، بأنها كانت تهدف

من ذلك إلى امتصاص طاقة الإفريقيين الدرامية وحبّهم للدراما من ناحية، ونشر اللغات الأوروبية، وتدعيم عملية التحول

إلى المسيحية من ناحية أخرى. وقد سار كل ذلك جنبا الى جنب مع المحاولات القليلة التى بذلها الانثروبولوجيون لجمع الدراما التقليدية وتسجيلها ،وهى محاولات عابها أنها لم تكن دقيقة بسبب جهل هؤلاء الدارسين والهواة للغات الأفريقية المحلية ولجوئهم إلى مترجمين محليين ،كانت صناعتهم تقريب المعانى وتلخيص التفاصيل.

وتجدر الأشارة الى أن المسرح الإفريقى عانى فى بداياته الأولى من غياب المرأة بشكل بارز ،فهى كممثلة، لم تأخذ فيه مكانة أساسية، بل إن المسرح الإفريقى اقرب للذكورية، فلنص المسرحى كثيرا ما لا يعطى أدوارا مهمة للممثلات المسرحيات، لأن العادات الإفريقية القديمة منعت المرأة من الولوج الى ميدان المسرح، الشىء بدأت وتيرته تخف او تكاد تنتهى الان. علما بأن سنة ١٩٣٩م شهدت أول صعود للمرأة على خشبة المسرح فى مدرسة ريفيسك بالسنغال.

هذا وواجه المسرح فى القارة مجموعة من الصعوبات، وفى مقدمتها إيجاد المتفرج وحرية التعبير والتمويل وإيجاد دور عرض مناسبة وتجهيزها بالوسائل التكنولوجية الحديثة، ونصل لأهم تلك الصعوبات وهى إشكالية اللغة، حيث تسيطر على الكتاب اللغة الانجليزية

والفرنسية، وهى لغات لا يعرفها الكثيرين من أهل البلاد الأفريقية ، فهم متمسكون بلغتهم المحلية الى حد بعيد؛ تلك اللغات التى مازال معظمها شفاهى لا يكتب.

ويواجه المسرح الأفريقى مشكلة أخرى، ألا وهى الواقع السياسى، حيث يميل الكتاب إلى مناقشة الوضع السياسى من خلال ما يقدمونه من أعمال درامية، فى الوقت الذى يقوم فيه المسرح الافريقى على مساعدة ومنح من هيئات أوروبية، مما يجعله ذلك عائق امام أبداعه والتعبير الحر عن الأشكالية السياسية التى يتناولها من خلال عرضه المسرحى.

كل تلك الصعوبات طرحها الأفارقة فى المؤتمر الذى عقد فى الجزائر حول أزمة المسرح فى أفريقيا، وعرضوا مجموعة من الحلول منها:

١- الاعتماد على الحكاية الشعبية والرجوع الى التراث الأفريقى التقليدى.

٢- العودة الى الطقوس الدينية فى العرض المسرحى، حتى تعود له وظيفته الاجتماعية والنفسية.

٣- العـودة الـى الكتابـة باللغـة الأم لتحقيـق التواصـل مـع الجماهير.

٤- العودة الى التراث الأفريقى الأستعراضى واستخدام الأقنعة حيث أنها تعكس ثراء الحكاية الشعبية التى يحكيها الراوى.

المسرح الإفريقي

الموسيقى الافريقية

إن صراع الإنسان الإفريقي، مع الوجود قديم قدم ظهوره على الأرض. وكان قد أنشأ ثقافته وطقوسه وفنونه التي عبّرت عن آلامه ورؤيته للكون وللحياة ، وثقافته هذه منها ما تفاعل مع الثقافات الأخري نتيجة الاستعمار الأوروبي، ومنها ما رحل مع العبيد إلى شمال القارة بعد أن تمّ توظيفهم واستغلالهم وجلبهم بهدف السيطرة عليهم.

والثقافة الأفريقية تزخر بثراء موسيقى هائل، يحتوى على عدد كبير من المقامات والقوالب الفنية والآلات الموسيقية المتعددة والمتنوعة، وتمتاز الموسيقى الافريقية بتنوعها لاتساع القارة وتعدد الأعراف والديانات التى أثرت الثقافة والفنون.والموسيقى الأفريقية تقليدية موروثة انتقلت سماعيا بلا انقطاع عبر الأجيال، وهى تعتمد على الارتجال والحوار والتفاعل وبساطة اللحن، غير أنها تختلف عن أنواع الموسيقى الأخري، خاصة فى السلم الموسيقي، حيث تتكون من السلم الخماسي، بعكس الموسيقى التى تعتمد على السلم السباعي.

وتؤكد الدراسات أن الشعوب الأفريقية كانت أول شعوب العالم معرفة بفن الموسيقى حيث نجد الطقوس الدينية البدائية تصاحبها جوقة من

الأناشيد والترانيم محتفلين بنجاح صيد أو حلول فصل جديد، أو تخلص القبيلة من القوى الشريرة أوالسحرة، أو ميلاد طفل أو علاج مريض، وتمارس الموسيقى بشغف منقطع النظير فى الطقوس الروحية والاستشفاء التقليدي، وكدعوة للصيد والحرب والزواج، ولا نبالغ إذا قلنا أن الموسيقى لتلك الشعوب هى الحياة، وشريكتهم فى الأفراح والأتراح. وفى بعض المناطق تكون هناك موسيقى للرجال، وأخرى للنساء.وعرفت الموسيقى الأفريقية، خاصة جنوب الصحراء، خصائص ميزتها عن باقى الأنماط الموسيقية، لأنها حافظت على بداياتها وأصولها، وظلت عذراء دون أن تتفاعل مع ثقافات أخري. ويظهر ذلك جليّا من خلال أدواتها الخاصة، وتقاليدها القديمة، ويمكننا القول إن هذه الموسيقى لم تهاجر إلى ثقافات وحضارات إنسانية أخري، وظلت ذات ميزة أفريقية خالصة. والتراث الإفريقى غنى بالعناصر الموسيقية، حيث لا وجود لمجتمع واحد فى أفريقيا دون نمط موسيقى يميزه، وهى موسيقى معقدة، تصعب على الفهم، لأنّها تخرج من أعماق الأدغال، كما أنها تحمل نوعية استثنائية من الإيقاع والأصوات والأنغام. وهى على غرار أنها شعبية، فإن معظم ألوانها وأنماطها تشهد نزوعا فى اتجاه ما هو دينى أو طقسا احتفاليا، وعادة ما تكون مصحوبة بالرقص والغناء ولا تقتصر على المناسبات والاحتفالات فحسب، لأنها بمثابة السلوك اليومي، الذى ينظم الحياة البدائية داخل الأدغال الأفريقية، وهى أيضا متعددة

الآلات الإيقاعية، وأهمها الطبول بأنواعها وأشكالها المختلفة، وقد أبدع الأفارقة فى استخدامها بدرجة مذهلة ومغرية بالبحث والدراسة، رغم أن أكثر الأصوات المستخدمة فى الموسيقى الأفريقية هى صوت الإنسان حتى إن بعض القبائل لا تستخدم الطبول فى موسيقاها وتعتمد على التنغيم بأصوات فموية. ولجأ الافارقة باعتبارهم أبناء الطبيعة الى الاستعانة بها فى عمل آلات وترية خاصة من العيدان، فصنعت وطورت مثل القيثارة أو آلات إيقاعية من ثمرات الدباء المجوفة والجافة وهى من فصيلة القرع مثل آلة البلافون، وهناك أيضا آلات تصنع من الطين وتسمى «البنغودي» وغيرها من الآلات التى استعان بها الأفارقة من وحى طبيعتهم البكر. وهذه الموسيقى تمثل نحو خمسين دولة، وعادة ما تشترك فى ثقافة الزولو، إذ تعدّ جملة من الآلات للعزف ولها خصائص مميزة، حيث تتسم بالتكرار وتعدد الأصوات، كما تحضر الأغانى والرقصات والطقوس. وتبقى غنية من حيث أدواتها التعبيرية، حيث تقرع الطبول، وتستعمل الأجراس الحديدية، والمزامير، ويصاحب ذلك الدوران الغريب والمدهش، والرقص والانتشاء.

الموسيقى الأفريقية استلهمت الجاز الأمريكي من عذاب العبيد

تمتاز الموسيقى الأفريقية بغناها نظرا لاتساع القارة، وتنوع الأعراف والديانات التى أوجدت ثراء كبيرا فى الثقافة والفنون،

حيث كانت الطقوس الدينية الأولى تصاحبها جوقة من الأناشيد والترانيم فى الاحتفال بنجاح صيد، أو حلول فصل جديد، أو تخلص القبيلة من قوى شريرة أو السحرة، أو ميلاد طفل، أو علاج مريض، وقد تكون للرجال موسيقاهم، وللنساء موسيقاهن. وللموسيقى الأفريقية تأثير على إيقاع الموسيقى فى الأمريكتين، وجزر البحر الكاريبي، وفى موسيقى الجاز التى أثرت بدورها فى أغلب موسيقِّيى القرن العشرين، ووصل إليها العديد من الآلات الموسيقية المنحوتة كالقيثارة التى تمتعت بمكانة اجتماعية عظيمة لدى الأفارقة.

ويكشف لنا كتاب «الموسيقى الشعبية الأمريكية» لصاحبيه «لارى ستار» و«كريستوفر واترمان»، الصادر عن دار نشر بجامعة أكسفورد، عن الأصول الأولى لهذه الموسيقي، ويقدم شهادة دامغة تقول أن الموسيقى الأمريكية ذات جذور أفريقية خالصة، حيث طوّر الموسيقيون فى أمريكا اللاتينية مجموعة واسعة من الأساليب التى تمزج الموسيقى الأفريقية بالأوروبية. وهؤلاء الموسيقيون وجدوا حقولا خصبة فى أغانى العبيد الذين تمّ جلبهم إلى أمريكا، حتّى إنه فى السنوات التى مضت، وهى ليست بالبعيدة، عمّت الأنماط الموسيقية الأفريقية وانتشرت هناك بشكل شاسع، ولاقت رواجا وإقبالا جماهيريا مكثفا، وهى وإن تم تطويرها ومحاولة تذويبها بتفعيل حقولها الإبداعية مع أنماط أخرى غربية، إلا أنها ظلت حافلة بانتمائها

الأول. فحين نتحدث مثلا عن فن «الجاز»، لا يمكننا إطلاقا أن ننسى أن الزنوج جلبوا معهم تراثهم من أفريقيا واحتفظوا به، كما أنهم كانوا يرددون أغانيهم وهم تحت قمع الأعمال الشاقة تحت سلطة الأسياد، لتمتزج «صرخات العذاب بالتعبيرات الروحية والفنية»٠ ووجدوا عددًا كبيرًا من الآلات النحاسية مثل السكاكين وأوانى الطبخ المبعثرة وبعض القطع الحديدية التى تركتها فرق الموسيقى العسكرية بعد الحرب الأهلية، فجمعوها وأخذوا ينفخون فيها، محاولين عزف تلك الألحان المحفوظة، وهكذا بكل عفوية ابتكروا أسس موسيقى الجاز، كما أصبحت الآلات النحاسية هى الآلات الأساسية فى العزف، ومن خلال ذلك، نشأت فرق الجاز، وشهدت هذه الموسيقى ثورة فنية منذ سنة ١٩٤٥،حيث شنّ الموسيقيون ثورة ضد الوظيفة التقليدية للموسيقى التى يعزفونها، وهى تحريك أرجل الراقصين؛ لأنهم كانوا يشعرون أنهم يقدمون للجماهير فنًا يستحق الإصغاء إليه فى سكون تام، وبأنه فن جديد يخاطب المشاعر ويرتفع إلى المستويات السيمفونية، ولم يعد يشترك فى أدائه عازفون بالسليقة، بل أفضل خريجى المعاهد الموسيقية. وتمت دراسة التأثيرات الأفريقية السوداء بشكل مستفيض باعتبارها أصلا تاريخيا لتلك الموسيقي. غير أنّ ما لم يدرس بصورة كافية إلى حدّ الآن هو تأثير الثقافة العربية الإسلامية، رغم أنّ الجميع يعرف أنّ جانبا لا بأس به من السود الذين نقلوا إلى العالم الجديد ينتمون إلى مناطق غرب

أفريقيا التى استوعبت تأثير الثقافة العربية الإسلامية منذ قرون، وقام الباحث الموسيقى النمساوى «جيرهارد كوبيك» بسدّ هذه الثغرة عبر دراسة خصائص موسيقى البلوز، حيث يميّز بين نوعين أحدهما يعود إلى منطقة السافانا الأفريقية، فى حين أنّ الثانى دخل المنطقة (غرب أفريقيا) بعد القرن السابع الميلادى بفترة وجيزة عبر طرق التجارة الصحراوية التى أنشأها المسلمون من شمال أفريقيا باتجاه الدول الناشئة غرب القارة على طول نهر النيجر، مالى ثم السونغاى ثم دول الهاوسا، وقد كانت جلّها دولا إسلامية. لقد أطلقت على الأسلوب الأول اسم «الزنجى القديم» وعلى الثانى اسم «العربى الإسلامي"

أمّا الباحث «صامويل شارترز» فقد كان أكثر قطعا حيث يجزم بأنّ الموسيقى «الأفرو أمريكية» فى مجملها تعود جذورها إلى المنطقة الموجودة بين «نهر السنغال وجنوب غينيا»، وهى كما نعلم منطقة خضعت لتأثيرات عربية إسلامية عموما ومغاربية على وجه التخصيص.

وتبدو هذه النتيجة مثيرة للقارئ العربي، لكنها مع ذلك ليست غريبة إذا وضعت فى سياق المعطيات التاريخية المعلومة لدى الجميع. أمّا ما يحتاج إلى مزيد من البحث والتدقيق فهو مصدر التأثير القادم من «مسلمى شمال أفريقيا".

وكانت هناك مدن مثل "القيروان وتلمسان وفاس» وغيرها من المدن المغاربية منطلقا لانتشار الحضارة العربية الإسلامية فى أفريقيا جنوب الصحراء و بلاد السودان كما كانت تسمّي. وكانت تلك المدن بمثابة منارات إشعاع حضارى ومنطلقا لعلاقات تجارية مكثفة مع غرب إفريقيا عبر القوافل الصحراوية وبقيت مهيمنة لمدة قرون على الثقافة فى الغرب الإسلامى بصفة عامة. ويمكن القول إنّ نشر مبادئ الدين الإسلامى اقترن بنشر اللغة العربية مع ما يرتبط بذلك من ترتيل القرآن والأذكار فضلا عما يمكن أن ينتقل معها من عناصر أخرى مثل الشعر العربي، الذى له علاقة وثيقة بالموسيقي.

وعرفت الموسيقى الأفريقية خاصة فى جنوب الصحراء، خصائص ميزتها عن باقى الأنماط الموسيقية، لأنها حافظت على بداياتها وأصولها، وظلت عذراء دون أن تتفاعل مع ثقافات أخري. ويظهر ذلك جليّا من خلال أدواتها الخاصة، وتقاليدها الضاربة فى القدم. ولتعريفها يمكن القول إنها هى الموسيقى التقليدية وغير المهاجرة إلى ثقافات وحضارات إنسانية أخري، باعتبارها ظلت ذات ميزة افريقية بحتة. ومن قبيل التذكير، نشير إلى أن التراث الأفريقى غنى جدا بالعناصر الموسيقية، ولا وجود لأى مجتمع فى أفريقيا دون نمط موسيقى يميزه، وهى موسيقى معقدة، تصعب على الفهم، لأنّها تخرج من أعماق الأدغال، كما أنها تحمل نوعية استثنائية من الإيقاع و

الأصوات والأنغام. وعلى غرار أنها شعبية، فإن معظم ألوانها وأنماطها تشهد نزوعا فى اتجاه ما هو دينى، أو طقسا احتفاليا، وعادة ما تكون مصحوبة بالرقص والغناء ولا تقتصر على المناسبات والاحتفالات فحسب، لأنها بمثابة السلوك اليومي، الذى ينظم الحياة البدائية داخل الأدغال الأفريقية. هى أيضا متعددة الآلات الإيقاعية. وأهمها الطبل بأنواعه وأشكاله المختلفة، الذى أبدع الأفارقة فى استخدامه إلى درجة مذهلة ومغرية بالبحث والدراسة. وهذه الموسيقى تمثل ما يقارب الخمسين دولة، وعادة ما تشترك فى ثقافة الزولو، إذ تعدّ جملة من الآلات للعزف ولها خصائص مميزة، حيث تتسم بالتكرار وتعدد الأصوات، كما تحضر الأغانى والرقصات والطقوس. وهذه الموسيقى تبقى غنية من حيث أدواتها التعبيرية، حيث تقرع الطبول، وتستعمل الأجراس الحديدية، والمزامير، وينشأ على أثر ذلك الدوران الغريب والمدهش، والرقص والانتشاء.

الموسيقى الإفريقية

اثر الثقافة الاسلامية على غرب افريقيا

بـلاد التكـرور او بـلاد السـودان الغربـى توظـف تلـك المصـطلحات للدلالـة علـى المجـال الممتد فيما بين المحيط الاطلسى غربا وبحيرة تشاد شرقا شمال نطـاق الغابـات الاستوائية وجنـوب الصـحراء ، وقد تواضـعت الدراسـات التاريخيـة علـى تسـميتها ب"بـلاد التكـرور " او افريقيا الغربيـة وهـى تنحصـر فيما بين خط عرض ١٧،١١ ،شمالا يوافـق هـذا الشـريط المجـال الـذى تعاقبـت فيـه الـدول السـودانية الوسيطية: غانة – مالى – سنغاى.

وكمـا ذكـر ابـن بطوطـة أن السـير فـى تلـك الحـدود وتلـك الصـحراء القاحلـة لـم يكـن بـأى حـال رحلـة سـياحية كمـا هـو الشـأن بالنسـبة للمسافرين من فاس الى سجلماسة او قرطبة او القيروان. ولا نتجنب الصواب اذا قلنا ان نظرة المجتمع المغربى خلال العصور الوسطى ازاء الصـحراء كانـت تماثـل نظرتـه وتصـوره عـن بحـر الظلمـات (المحيط الاطلسى) وهى نظرة هيب وخوف لتلك الصحراء القاحلة.

المجتمع السودانى قبل تعرفه على الاسلام :

كان مجتمع السودان الغربى تجمعه عدة عادات فى المأكل والملبس ونظام الحكم ومعتقداته الدينية، واهم تلك العادات عدم استعمال اللباس ومشاعية المرأة وحرية الجنس وعدم تقنينه، واكل لحوم البشر ولحوم الجيفة، بالاضافة لعادة توريث أبن الاخت للملك ،وتقديس الرعية للملك، وهو مجتمع شفاهى لا يعتمد على الكتابة بل على الرواية الشفاهية، كما كثر الاعتماد على قوى السحر والقوى الغيبية وشدة الاعتقاد فى تاثيرها على حياتهم.

كما توفر لدى السودانيين الذهب بكثرة ومارسوا التجارة وكان الذهب وسيلة لجذب التجار حيث كانت مقايضة الذهب السودانى بالملح احد اهم وسائل جذب تجار بلاد المغرب ومصر ولولا ذلك ما تحملوا مخاطر تلك الرحلة الصعبة.

وكان ملح الطعام من السلع الهامة التي تحتاج إليها الزنوج وغيرهم من شعوب المنطقة الواقعة جنوب الصحراء، هذا بالإضافة إلى النحاس والمنسوجات والتمر والعقود والحلي – وكانوا على استعداد لمبادلة هذه السلع بالذهب والمحاصيل الأفريقية الرعوية أو الاستوائية التي وجدت طريقها إلى البحر المتوسط وأوروبا على يد التجار المغاربة على الخصوص ويكفي أن نذكر أن هذه البلاد انفردت لفترة

طويلة بثروتها الذهبية، فقد كانت المصدر الرئيسي لذهب العالم إلى أن اكتشفت مناجم أمريكا الجنوبية والهند وجنوب أفريقيا.

هكذا إذن دخل المسلمون الزنوج في علاقة تفاعل حضاري وثقافي بفعل قيام حركة تجارية مزدهرة بين الإقليمين ومن ثم رأينا الثقافة العربية، والعلوم الإسلامية تصيب حظاً وافراً من الانتعاش، ولا سيما في الحواضر السودانية، ذات الإشعاع الاقتصادي مثل كومبي وتومبكتو ونياني وجنة، لتتسرب بعدئذ إلى المناطق النائية في البلاد. كما أن القوافل التجارية الوافدة من المغرب لم تكن **لتخلو من رجالات** العلم والثقافة، آية ذلك أن كتب التاريخ حبلى بأسماء الإعلام المغاربة الذين جمعوا إلى نشاطهم التجاري، تضلعهم في العلوم الدينية، ومشاركتهم في شتى مناحي المعرفة "فإذا ما استقر بهم المقام أنشأوا حلقات لتعليم القرآن أو للعبادة، وقاموا بمزاولة النشاط التعليمي والدعوة لاتباع مبادئ الإسلام بجانب نشاطهم التجاري

وما كاد القرن الخامس الهجرى ينتصف حتى ظهر عدد من الامارات المسلمة فى قلب بلاد السودان، وكان حضور الاسلام اذاك مثل الواحات فى الصحراء لا يتعدى حدود الامارة وقد يقتصر على الامير السودانى وحاشيته دون بقية رعيته.

لقد استلزم حضور الاسلام الى بلاد السودان بهذا الشكل البسيط غير الكثيف زمنا يزيد على القرنين لم تتوقف خلاله العلاقات والتفاعلات البشرية بين السودانيين والمسلمين الاتين من الشمال.

وتشير قرائن الاحوال أن تجار بلاد المغرب وعدد من الفقهاء والدعاة المسلمين قد قاموا بدور بالغ الاهمية فى عملية نقل الاسلام الى بلاد السودان، ومن العوامل التى حققت الإلفة بين الدعاة المسلمين تجارًا أو علماء هو أن ميولهم الثقافية لم تختلف عن ميول الأفريقي لآن الاسلام دخل غرب افريقيا عبر الوسائل الروحية والوجدانية للانسان الافريقي وحافظ الاسلام في نفس الوقت على هيكل البناء الثقافى الافريقي بهويته الافريقية لذلك أرى أن الثقافة الاسلامية أثرت وتأثرت بالثقافة الأفريقية لانه جاء هاديًا مع تعامل المسلمين ومؤثرًا لأن الثقافة الاسلامية تتوافق مع الثقافات الافريقية خلال تلك المؤثرات لأن مدخلها كان تعليمي.

ويرجع تاريخ اعتناق اول امارة سودانية للاسلام الى القرن الرابع الهجرى "العاشر الميلادى " وبعدها تلاحق تحول عدد الامارات والحواضر السودانية للدين الجديد.

وكان لانتظام المسالك التجارية بين ضفتى الصحراء فى خلال الفترة نفسها اثر بالغ فى تحقيق هذا التحول، لانه مهد السبيل امام الفقهاء

والدعاة المسلمين لارتياد المراكز السودانية بهدف نشر الدعوة الاسلامية، الا ان قلة عدد الدعاة وجهلهم بمناطق البلاد واحوالها فضلا عن اختلاف لغة التواصل حد من فعاليتهم واعاق مهمتهم، الشيء الذى يفسر اقتصار أنتشار الاسلام فى بداية امره على بعض الحواضر السودانية وهوامشها.

أن اول ما يثير انتباهنا فى عملية انتشار الاسلام ببلاد السودان هو انها لم تتوقف طوال العصر الوسيط، بل انها استمرت تمارس فعلها حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) مع الحركات الجهادية التى برزت حينئذ.

ويجب أن نشير الى أن أهل المغرب خاصة بذلوا مجهودات لا يستهان بها فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ببلاد السودان وتبين لنا كذلك أن السودانيين من جانبهم رحبوا بالاسلام وعبروا من خلال عدد من المؤشرات والسلوكيات عن رغبتهم العميقة فى الانتماء للعقيدة والثقافة الاسلامية، ولقد نسجت جهود الأفارقة عبر التاريخ خيوطًا ناصعة في الإنتاج الفكري والإبداع الفني لذلك فإن أقدم المأثورات الثقافية الأفريقية المكتوبة باللغة العربية أو الحروف العربية هي عبارة عن مدائح في سير الرسول عليه الصلاة والسلام أو ملحمة في حياة أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأقدم مخطوط من غرب أفريقيا هي "نبل الإنتاج في تطريز الديباج" للشيخ

(أحمد بابا التنبكتي وفيه تاريخ للحياة الفكرية والثقافية الإسلامية لغرب أفريقيا.

وايضًا كتاب (الميسور في تاريخ التكرور) للسلطان محمد بن عثمان بن فودي.

مصر وبلاد السودان الغربى :

كانت مصر هى طريق ومعبر الحضارات والأديان الكبرى من الشمال إلى أفريقيا جنوبى الصحراء، وقد وجد التراكم الثقافى فى مصر طريقه إلى أفريقيا جنوبى الصحراء ،حيث هجرة التأثيرات الثقافية من مصر إلى انحاء العالم الأخرى ومنها إفريقيا.

وقد كان للأزهر فضل كبير فى نشر العلوم فى افريقيا، وكان عنصرا فعالا وإيجابيا فى دعم الصلات الثقافية بين مصر وتلك البلاد.

ايضا كان لإطلاع علماء بلاد السودان على الشروحات والمؤلفات المصرية الفضل فى ترسيخ فكرة تبادل الأفكار والرسائل بين علماء مصر وعلماء وحكام بلاد السودان فى أذهانهم، لذلك حرص سلاطين بلاد السودان على شاء هذه الكتب وحملوها الى بلادهم ،مثل السلطان منسا موسى حاكم مالى والسلطان أسكيا محمد حاكم صنغى اللذين اشتريا مجموعة كبيرة من الكتب أثناء مرورهما

بمصر، وهما فى طريقهما الى رحلة الحج ليوفرا على أهل بلدهما جزءا من الثقافة السائدة فى مصر أثناء رحلة حجهما، كما تعددت الوسائل التى حصل منها علماء بلاد السودان على هذه الكتب، منها ما حمل خلال موسم الحج الذى كان فرصة كبيرة بالنسبة لحجاج وتجار بلاد السودان للحصول على مجموعة من الكتب.

كذلك ورد الى بلاد السودان كثير من الكتب عن طريق القوافل التجارية التى كانت تأتى من مصر وقد زاد هناك الطلب على هذه الكتب المخطوطة، إذ كانت تجارة الكتب تدر ارباحا طائلة فاقت الأرباح التى تأتى من أى تجارة أخرى، فقد حرص التجار على أن تتضمن بضائعهم الكتب والمخطوطات التى كانوا يحملونها من بلاد شتى، وكانت مصر تتصدر أهم الدول التى كانت تأتى منها هذه الكتب.

وقد كثر عمل النساخ فى نسخ كثير من المخطوطات، اذ وجدنا السلطان اسكيا داود قد احتضن هؤلاء النساخ الذين عملوا فى بلاطه، ومن ثم فقد ترك العديد من خزائن الكتب فى قصره، وكان منها العديد من الكتب الفقهية التى انتشرت فى مصر وانتقلت اليهم.

وقد كان فى مصر فى تلك الفترة (فترة العصر المملوكى) (١٢٥٠-١٥١٧م) من العلماء والفقهاء والكتاب من ذاع صيتهم في مختلف

البلاد السودانية، أخذ عنهم السودانيون العلم، ومن أشهر هؤلاء العلماء والفقهاء "ابن منظور" صاحب كتاب لسان العرب، و"النويرى" صاحب كتاب " نهاية الارب فى فنون الادب"، والعالم الجليل "ابن فضل الله العمرى" صاحب كتاب "مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار"، وتقى الدين السبكى والشيخ ابو العباس أحمد القلقشيندى والعالم الجليل "جلال السيوطى".

لقد كان لأحتضان الازهر الشريف للسودانيين من الحبشة وبلاد الزيالعة الاسلامية وبلاد النوبة وبلاد كانم ودولتى مالى وصنغى، أن ظهرت العقلية السودانية التى نهلت من العلوم المصرية نهلا ،مما أدى الى تلاقى الثقافات وتبادل الافكار بين علماء مصر وعلماء بلاد السودان، مما دعى أبن خلدون بوصفها " لا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر ،فهى أم العالم وأيوان الإسلام وينبوع العلم والصنائع".

ايضا من أبرز المراكز العلمية فى القاهرة والتى كان يتوافد عليها ابناء السودان الغربى، وهم فى طريقهم الى الحجاز لأداء فريضة الحج مدرسة ابن رشيق والتى بناها فى مدينة الفسطاط القاضى والفقيه المالكى المصرى "علم الدين بن رشيق " عام (٦٤٠ هجريا / ١٢٤٢ ميلاديا) والذى تولى تدريس المذهب المالكى بها وأصبحت هذه المدرسة مركزا لتدريس المذهب المالكى، حيث بلغت فى هذا

الامر شهرة واسعة، وكان بناء هذه المدرسة من تبرعات أبناء بلاد السودان الغربى لتكون مركزا لإقامة الوافدين الى مصر من تلك البلاد.

ولكن ذلك كله لم يمنع أن الاسلام قد واجه بعض التعثر فى بلاد السودان ولم يأخذ مكانته العادية فى المنطقة مثلما هو الحال فى مصر وبلاد المغرب، ويرجع ذلك الى ثلاث عوامل رئيسية كان لها وقع سلبى فى سيرورة انتشار الاسلام ببلاد السودان وبالتالى لم تسمح بتطوره بشكل طبيعى وهى:

١- قلة الدعاة

لم يكن بالقدر الكافى الذى يسمح باحداث تحولات جذرية وشاملة فى وقت قصير.

٢- قلة المراكز الحضارية

كانت هناك ازدواجية فى مسيرة التجارة والاسلام فى بلاد السودان، الشىء الذى يفسر ارتباط الاسلام بالمراكز الحضارية، ذلك انه كلما بلغ تاجر مسلم أحد الاسواق فى السودان الا وتعقب خطاه فقيه داعية واستقر بتلك الحاضرة بهدف تعليم السودانيين مبادىء الدين الحنيف، كما استفادت القرى الواقعة على الطرق الرابطة بين المدن

السودانية من هذه الوضعية ولعل ما ذكره ابن بطوطة عن قريتى زاغرى وزاغة الواقعتين على الطريق الواصل ما بين نيانى العاصمة ومدينة تنبكت ابلغ تعبير عن حالتنا.

٣- قلة اللغة العربية فى بلاد السودان

احتفظت القبائل السودانية بعد اسلامها بلغاتها ولهجاتها المحلية بسبب ان الاسلام وصل الى بلاد السودان عبر بربر الصحراء وعدد قليل من العلماء المسلمين، ولم توظف اللغة العربية الا فى القليل النادر من حياتها اليومية والدينية، مما ترتب على ان ظلت بلاد السودان محرومة من عملية التعريب، الشىء الذى كان له اثر سلبى على واقع الثقافة الاسلامية بالمنطقة.

وكما يخبرنا ابن بطوطة " بأن السودانيين كانوا عاجزين عن فهم خطبة الجمعة التى تلقى على مسامعهم بالغة العربية، لذلك كان الخطيب فى كل مسجد من مساجد الامبراطورية مضطرا للاستعانة بمترجم يبين للناس بلسانهم كلام الخطيب".

عدم تمكن السودانيين من اللسان العربى لم يلحق الضرر بالمستوى الثقافى فحسب وانما اصبح يهدد افاق العقيدة الاسلامية نفسها لدى السودانيين، ولاريب ان انشغال الفئات المتنورة من علماء وفقهاء بهذه المصيبة التى حلت بالمسلمين السودانيين هو الذى حفز

السلطان " اسكيا محمد" لاستصدار فتوى بهذا الشأن من الفقيه المغيلى، وايضا هذا ما تكشف عنه الرسالة التى وجهها احد الفقهاء السودانيين أو القاطنيين فى بلاد السودان (تنبكت) وهو محمد بن محمد بن على اللمتونى الى الامام جلال الدين السيوطى وذلك عام (٨٩٨ هجريا) وقد استفسر فى تلك الرسالة عن عدد من المسائل الفقهية ومنها هل يجوز مدح الرسول صل الله عليه وسلم بالكلام الاعجمى، فرد عليه الامام السيوطى بالايجاب.

لقد خاض الاسلام فى بلاد السودان تجربة محرومة من جل الوسائل الفعالة التى يمكن ان تدعم موقعه فى المنطقة ولم تتوافر لديه ادنى الشروط التاريخية لنجاحه ومع ذلك فرض نفسه وأضاف بلاد السودان الى دار الاسلام والسودانيين للامة الاسلامية.

الفصل الثاني

شخصيات ثقافية فى ذاكرة أفريقيا

١- ماريام ماكيبا....صوت الحرية وأم أفريقيا

رحلتها في الغناء جعلتها تصبح أيقونة للتحرر والانعتاق ،حاربت من خلال أغانيها التمييز العنصرى فى وطنها جنوب افريقيا ،وكانت ملهمة قادة التحرر وصوت الحرية والنضال ،قال عنها مانديلا فى مذكراته " كانت السيدة الأولى للغناء فى جنوب أفريقيا وتستحق لقب أم أفريقيا ،كانت أم معركتنا وأم شعبنا الفتى "

ولدت ماريام ماكيبا في الرابع من مارس ١٩٣٢ في جوهانسبرج لأبوين من عرقين مختلفين، أمها من شعب «سوازي» وأبوها، من «الشوسا« وأسمياها زينزي، ويعني هذا الاسم بلغة الزولو (لا تلومي غير نفسك).

عاشت ماريام في أحياء جوهانسبرج الفقيرة، أحياء السود الذين عانوا ابتداء من سنة ١٩٤٨ من نظام الأبارتايد بعد أن فاز الوطنيون الأفريكانر بالانتخابات .

ولجمال صوتها اختيرت للغناء في كورس إحدى كنائسها وهي في الثامنة من العمر، كانت اغنيتها الأولى في معهد (كيلمترين) للتدريب الفني في بريتوريا،وما أن بلغت العشرين حتى أصبحت نجمة فريق (إخوة مانهاتان السود) عام ١٩٥٢.وهو من أطلق عليها اسم "ماريام "، ثم التحقت بفرقة (سكايلاركس) أى برق السماء والتى لم تضم سوى النساء. ومنذ البداية، اتجهت ماريام ماكيبا إلى فضح و تعرية نظام الأبارتايد من خلال أغانيها الملتزمة. كما غنت للسلام والحرية في إفريقيا و العالم، وهو ما جعل الكثيرين يطلقون عليها تسمية ماما إفريقيا.MAMA AFRICA .

في سنة ١٩٥٩ شاركت في فيلم " Come Back, Africa" للمخرج الأمريكي Lionel Rogosin وهو فيلم ضد نظام الأبارتايد، فاضطرت إلى العيش في منفى اختياري قادها إلى الولايات المتحدة و أوروبا و خاصة فرنسا، لمدة ٣٩ سنة.

مزجت مريم فى أغانيها بين موسيقى البلوز والجاز ومن أشهر أغانيها (دى كليك سونج) و(مالايكا)؛ ومع أغنية (باتا باتا) عام ١٩٥٦ تجاوزت ماكيبا حدود بلدها، وطبقت شهرتها الآفاق.

عاشت ماكيبا، في البداية، في أوروبا ومن ثم انتقلت للعيش في الولايات المتحدة. في عام ١٩٨٥، إثر وفاة ابنتها الوحيدة بونجي، عادت لتعيش في أوروبا.

وخلال فترة السبعينات والثمانينات كانت أغانيها تتردد فى جميع أنحاء العالم وشاركت فى عدة مهرجانات للجاز مازجة موسيقى الجاز بالألحان الشعبية لجنوب أفريقيا، فمنحته تلك النكهة الموسيقية التي ظلت خالدة في أذهان مستمعيها.

فرضت الحكومة العنصرية فى موطنها حظرا على جميع اسطواناتها الموسيقية. وكان على المغنية الانتظار نحو ٣٠ عاما للعودة إلى جنوب إفريقيا، بعد أن تمكن نيلسون مانديلا عام ١٩٩٠ من إقناعها بالعودة إلى موطنها الأصلي.

وماكيبا هى أول مغنية افريقية سوداء تفوز بجائزة المانية والتى تقاسمتها مع هارى بيلافونت عام ١٩٦٥. حازت علي تسعة جوازات سفر ومنحت المواطنة الفخرية من عشرة دول، منهم الجزائر والتى منحتها اللجوء وجواز سفر جزائري حيث رفقة كبار المناضلين الأفارقة، شكرت الجزائر بأغنية باللغة العربية وهي: أنا حرة في الجزائر، انتهى وقت العبيد أغنية عزيزة على الجزائريين، وتذكر العرب بوحدة نضالهم مع بقية أفريقيا.

وفي ١٩٨٧ قامت بجولة مع المغني بول سايمون ثم نشرت بعيد ذلك مذكراتها "ماكيبا: قصتي". وأخيرا وفى عام ١٩٩٢ عادت الى جنوب أفريقيا لتقيم فى الضاحية الشمالية لجوهانسبرج حيث يحييها الناس يوميا بسؤال "كيف حالك ايتها الام"؟ وهناك اسست هذه المناضلة ضد كل اشكال الظلم مركزا لاعادة تأهيل المراهقات المشردات.

تم تعينها من قبل منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (الفاو) سنة ١٩٩٩ م سفيرة للنوايا الحسنة، وفى عام ٢٠٠٥ م قامت ماكيبا بجولتها الاخيرة فى العالم وقالت حينها " يجب أن اذهب الى العالم لأشكره واودعه، بعد ذلك سابقى فى بيتى مثل جدة واريد أن ينثر رمادى فى المحيط الهندى لأتمكن من الابحار مجددا إلى كل هذه الدول".

توفيت مريم ماكيبا في إيطاليا بعد ساعات فقط من احيائها لحفل غنائي اقيم قرب مدينة كاسيرتا الايطالية و هي تناضل لنصرة الكاتب الإيطالي .Roberto Saviano صاحب كتاب La Gommora والذي كانت المافيا الإيطالية تهدد حياته بسبب هذا الكتاب حيث فضح فيه مافيا كامورا وتعرض نتيجة ذلك للملاحقة والتهديد.

هكذا ختمت ماريام حياتها بالنضال من اجل الحرية وكان سلاحها فى تلك المعركة صوت وصلت ارجائه للعالم اجمع، فأستحقت لقب "أم أفريقيا ".

ميريام ماكيبا... وإن غادرت الحياة بجسدها عام ٢٠٠٨ إثر أزمة قلبية ألمت بها فى إيطاليا وهى على خشبة المسرح تغنى من أجل قضية سياسية، إلا أنها لازالت وستبقى شعلة متقدة فى قلوب ملايين الأفارقة الذين لازالو يغنون أغنياتها لليوم، يكفيها أن يوم وفاتها كان مرثية حزينة صدمت كل دول العالم ويكفيها فخراً إنها دُفنت متشحة بعلم بلادها وفى الصفوف الأمامية يقف مانديلا يستقبل عزاءها قائلاً "أن ماكيبا "كانت سيدة أولى للغناء في جنوب أفريقيا وتستحق لقب أم أفريقيا.

ماريام مكيبا. ..أم افريقيا

٢- جورج بادمور... رائد الجامعة الافريقية

ترتب على التغيرات التى عرفها العالم الجديد عقب الثورة الامريكية وحركة تحرير العبيد ومنع المتاجرة بهم عودة البعض منهم الى وطنهم الام افريقيا حاملين معهم أفكار الحرية والتحرر والاستقلال من نير المستعمر الابيض، ولم تكتمل تلك الصورة الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والتى شهدت تنافسا محموما بين القوى الامبريالية الغربية حول افريقيا لذلك دفعت المعطيات المثقفين الزنوج فى الولايات المتحدة الامريكية وجزر الهند الغربية مع بداية القرن العشرين بالدعوة الى تشكيل منظمات زنجية تدعو الى منح الافارقة الحرية، وتطورت تلك الدعوات الى المناداة بتأسيس الجامعة الافريقية التى يراها البعض انها "احدى هبات العالم الجديد الى العالم القديم".

لقد كانت الجامعة الافريقية تعبر فى بدايتها عن حركة فكرية ثقافية احتجاجية، لكنها شهدت العديد من التطورات والتى تواكبت مع السياسة الاستعمارية مع نضوج وترسخ ومؤسسية تلك الحركة. وهى فى بدايتها حركة احتجاجية من زنوج العالم الجديد على اوضاعهم الاجتماعية والذين حاولوا التأكيد على كل ما يربطهم بأفريقيا ،ويؤكد كثيرين ان هذا التيار احتوى على العديد من الحركات والتيارات الفكرية كتيار العودة الى افريقيا الوطن، ونهضة هارليم ،وحركة

الكنائس الاثيوبية المستقلة، ثم تحولت تلك الحركة لتصبح اداة وسلاحا للحركات الافريقية فى كفاحها ضد الاستعمار.

وكان لحركة الجامعة الافريقية رواد من المثقفين الزنوج واللذين حاولوا غرس اسس الفخر الاثنى اللونى بين الشعوب الافريقية الموجودة فى القارة وفى الدياسبورا وذلك بهدف منحهم القدرة على تحديد مصيرهم، من امثال هولاء الرواد "وليم ادوارد ديبوس " و"هنرى سلفستر وليامز " وماركوس جارفى " وكان ابرزهم "جورج بادمور"

جورج بادمور George Padmore (١٩٠٣- ١٩٥٩)

أسمه الحقيقي Molcom Ivan Merdith Nurse ولد بترينيداد سنة ١٩٠٢. إنتقل إلى الولايات المتحدة الامريكية ليزاول دراسته بجامعة (فيسك Fisk ولاية تينسي) حيث درس التاريخ والعلوم السياسية انتقل بعد ذلك الى نيويورك ليدرس القانون بجامعة نيويورك وليصبح كذلك عضوا في الحزب الشيوعي الأمريكي عام ١٩٢٧، ومن ثمة أصبح يعرف (بجورج بادمور) وكتب مقالات بصحيفتي The New York Daily Worldو البطل الزنجي. هذه الاخيرة كانت صحيفة ذات توجه شيوعي تصدر عن الحزب الشيوعي بهارلم. وفي سنة ١٩٢٩، توجه الى موسكو حيث أصبح رئيسا لفرع Black Section تحت لواء الأممية الشيوعية الثالثة أو

الكومنترن. لكنه لم ينس الهدف الذي رسمه ألا وهو تحقيق إستقلال القـارة الإفريقيـة من براثن الإستعمار ومما تجدر الاشارة اليه هو تميـزه بشخصـية قويـة لمـا لـه مـن المؤهـلات العلميـة و الحنكـة السياسية ما جعله يفرض نفسه في المجتمع السوفياتي بحيث انتخب عضوا في مجلس مدينة موسكو.

كان بادمور صحفيا بارعا و من أشد المنتقدين للإمبريالية لا سيما الإمبريالية البريطانية ومن فيينا، إنتقل بادمور إلى المانيا و نظرا لأفكاره التحررية ومعاداته للنازية سنة ١٩٣٣، ألقت السلطات النازية القبض عليه وسجنته لبضعة أشهر ثم تم نقله الى لندن. و بالرغم من مكانته المتميزة وتمتعه بشعبية كبيرة في إطار الأممية الشيوعية إلا أنه قاطع الكومنترن سنة ١٩٣٤ بسبب مسألة نبذ الإمبريالية. إن تعاظم النازيـة بألمانيا قد جعل ستالين وزعماء الحزب الشيوعي السوفياتي يغيرون من مواقفهم السياسية فيما يخص بعض المسائل لا سيما ما تعلق بالفرق بين الإمبريالية الديمقراطية في بريطانيا، فرنسا والولايات المتحدة والإمبريالية الفاشية بالمانيا و اليابان. وعليه، طلب السوفيت منه أن يكون لينا أو معتدلا في كتاباته و نقده للأنظمة المتبنية للإمبريالية الديموقراطية والتركيز على إدانة الإمبريالية الفاشية لكن بادمور رفض وبرر رفضه في كون ألمانيا واليابان لا تملكان المستعمرات في إفريقيا، وأشار إلى أن الولايات

المتحدة كانت من أخطر الإمبرياليات المطبقة لسياسة الميز العنصري والمشجعة للقوى الإمبريالية الإستعمارية في القارة السمراء.

وكان أبرز حدث ترك أسوء الأثر في نفسية بادمورهو ذلك المتعلق بالغزو الإيطالي للحبشة مما ولد للأفارقة شعورا بالتضامن من خلال تأسيس جمعية أصدقاء Abyssinia سنة ١٩٣٥ التي ترأسها بادمور وكان كينياتا أمينها العام و محمد السعيد من الصومال من أبرز أعضائها. إن الهدف الرئيسي من وراء تأسيس هذه الجمعية هو إبراز التضامن مع الشعب الاثيوبي في محنته خصوصا إذا ماعلمنا أن الحبشة كانت موطنا لأقدم الممالك في العالم ولم تخضع للسيطرة الإستعمارية الأوربية بل أن هذه المملكة لقنت درسا لإيطاليا عندما حاولت السيطرة على هذا الجزء من إفريقيا. فالمتتبع لتاريخ القرن الإفريقي يتذكر جيدا الهزيمة التي منيت بها إيطاليا في معركة عدوة Adoua على يد قوات الملك ملنيك الثاني عام ١٨٩٦ والتي أسفرت كذلك عن مقتل ستة آلاف إيطالي وأسر ألفين.

وبعد هذه القطيعة، استقر بادمور بلندن ليمارس مهنة الصحافة بحيث كان يصدر مقالاته عبر الصحف ذات الإتجاه اليساري ويحتك ببعض النخب الافريقية كالكيني جومو كينياتا والدكتور (دنكوه) ليعطي نفسا جديدا لحركة الجامعة الإفريقية.

ساهم بادمور بمواقفه السياسية وكتاباته بجعل الأفارقة يشعرون بالإعتزاز والإنتماء إلى هذه القارة فضلا عن شعورهم المشترك بالمصير الإفريقي الواحد.

والملفت للإنتباه أن المؤرخين تجاهلوا هذه الشخصية البارزة أو اقتصروا على ذكر القليل من مساهماتها النضالية ضد الإمبريالية، الأمر الذي جعل المهتمين بالشؤون الإفريقية لا يتحصلون إلا على قشور لا تساهم حقا في دراسة هذه الشخصية و إسهاماتها في بلورة فكر الجامعة الإفريقية.

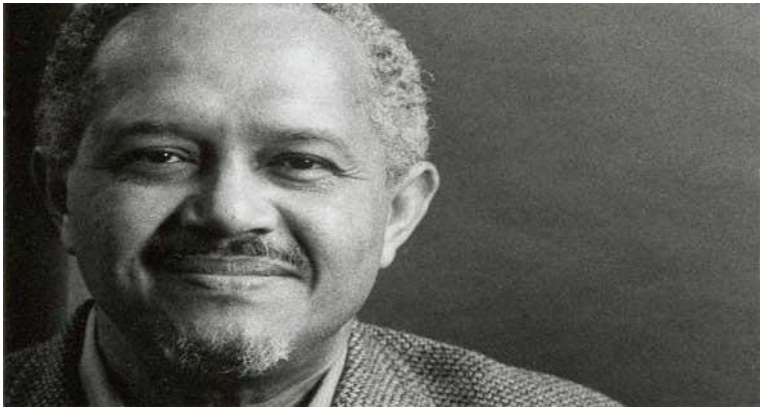

جورج بادمور. ..رائد الجامعة الإفريقية

٣- الكاتب الصومالى نور الدين فرح....كاتب بطعم نوبل

يعتبر الكاتب الصومالي نور الدين فرح من أهم الأقلام الأدبية في القارة الإفريقية، كما تمنح رواياته صوتا أدبيا مسموعا يتجاوز مداه القارة السمراء، لدرجة أنه تم التفكير أكثر من مرة فى منحه جائزة نوبل للادب وكان اخرها عام ٢٠١٥.

ولد نور الدين فرح عام ١٩٤٥ فى جنوب الصومال الذى كان تحت السيطرة البريطانية بعد أن كان محتلا من قبل ايطاليا، كان والده يعمل مترجما من اللغة الصومالية الى اللغة السواحلية لدى الحاكم البريطانى، وكانت هناك مدرسة انجليزية مسيحية وقد انتسب اليها الطفل نور الدين ليتعلم لغة شكسبير فى الصباح، وفى الظهر يمضى الى المدرسة القرانية ليتعلم اللغة العربية.

وهكذا امضى طفولته متنقلا بين القران والانجيل ،وبين الشعراء البريطانيين الرومانسيين، والشعراء العرب القدماء.

أما عن والدته فهى شاعرة شعبية تتقن تأليف الاغانى بل وتنشدها فى الاعراس والحفلات الصومالية وتألف مرثيات من أجل الحياة ويقول نور الدين عن ذلك " كنت قريبا جدا منها. كانت تطلب مني ان أحفظ قصائدها وترسلني الى الاشخاص الذين طلبوها منها لكي أنشدها أمامهم. كنت أجلس بالقرب منها عندما كانت تحضّر القشدة

وتطْرقها لتحولها الى زبدة. هذه اللحظات مع أمي هي أسعد أيام حياتي كلها.

فى عام ١٩٦٣ اندلع نزاع مسلح بين الصومال وأثيوبيا فى أقليم " الاوجادين" فهاجرت الاسرة الى العاصمة الصومالية " مدغشقر " وهناك واصل تعليمه.

حينما بلغ عامه العشرين حصل نور الدين على منحة دراسية الى الهند التى أمضى بها أربع سنوات وهناك كتب روايته الاولى " مولودا على ساحل ادم "

بعدها انتقل للعيش فى بريطانيا حيث كتب روايته الثانية " الابرة العارية " والتى تدور احداثها فى العاصمة الصومالية مدغشقر

بطل الرواية هو كوشتسن، استاذ يعمل في مقديشو، وعد فتاة تعرف عليها اثناء دراسته في الخارج بالزواج منها، حيث تصل الفتاة الي مقديشو، متوقعة ان يفي المدرس بوعده، ومن خلال هذا الخط يحاول فرح عرض ازمة الهوية الصومالية، حيث تبدو المرأة محرومة وتتسيدها حيوات وقرارات الرجال، خاصة في مرحلة ما بعد الاستقلال تلك الرواية أعتبرها نظام سياد برى مناهضة له ومنع توزيعها، بل وبدأت بها سنوات المنفى بعد أن حكم عليه بثلاثين

عاما وتم اصدار حكم بالاعدام غيابيا من قبل نظام " سياد برى " بسبب انتقاداته للنظام الديكتاتوري.

ويروى فرح تلك اللحظة القاسية فى حياته قائلا : "كنت في روما، حين وصلني هذا الخبر. ولم يكن لدي سوى ١٥٠ دولارا"، كما يتذكر فرح. ويستطرد معبراً عن شعوره حين وصله نبأ إعلان الحاكم الصومالي آنذاك: "كان الأمر صعبا جدا"، إلا أنه قرر بلا تردد البقاء في إيطاليا، حيث عمل في البداية كمترجم قبل أن يركز اهتمامه مجددا على الكتابة. وبعد إقامته في دول إفريقية مختلفة انتقل منذ عام ١٩٩٩ للعيش في جنوب إفريقيا ورغم أنه كان يمكن لفرح أن يعود إلى وطنه بعد إسقاط الدكتاتور سياد بري، إلا أن البلاد انزلقت إلى حرب أهلية متواصلة لأكثر من عقدين. وبعد استقرار محدود ونسبي، جاء الاعتداء على مقر الأمم المتحدة في مقديشو ليذكر بأن مستنقع العنف لا يزال يهدد البلاد.

عاش فرح سنوات المنفى متنقلا بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وجنوب افريقيا حيث يقيم الى الان، تلك السنوات التى لم تمنعه فيها الغربة من مواصلة النضال بقلمه، وظلت الصومال حاضرة فى كل ما يكتب.

سرعان ما بدأت الأوساط الأدبية بالتنبّه له بعد إصداره روايته الثانية "من ضلع أعوج"، ثم توالت رواياته "الإبرة العارية"،كما ابداع بأصدار ثلاثيتين وهما ثلاثية "تنوعات في دكتاتورية إفريقية" التي تتألف من "حليب حلو ومر"، "السردين"، "اغلق يا سمسم"، ثم ثلاثية ثانية بعنوان "دماء تحت الشمس"

ثلاثية فرح "تنويعات علي فكرة ديكتاتور افريقي " والتي صدرت في الفترة ما بين ١٩٨٠ –١٩٨٣ تحاول تقديم موازاة بين الممارسات الاستعمارية والنظام الشمولي. الجزء الاول "حليب حلو وحامض" هي عن توأمين لويان وسويان، الاول طبيب اسنان والثاني صحافي الذي يموت بطريقة غامضة، وفي محاولته للبحث عن اسباب وفاة اخيه، يجد لويان ان سويان كان عضوا في منظمة سرية كانت تهدف للاطاحة بالنظام السابق. وفي النهاية يعين لويان سفيرا لبلاده في يوغسلافيا، ومثل شقه الآخر سويان يترك الكاتب مصيره مفتوحا.

سردين ((١٩٨١ " التي تعتبر مهمة من ناحية اسلوبها الذي ينتمي لتيار الوعي، يقدم فرح قصة صحفية تطرد من عملها في صحيفة وطنية مهمة، فيما يقوم النظام باغراء زوجها بناء علي وعد كاذب بالحصول علي عمل، وهذا الزوج يحكم بيته بالحديد والنار حيث تجبر ابنته علي عملية ختان فرعوني. اما الجزء الثالث من الرواية

فهو " افتح يا سمسم " والتى نال عنها جائزة " بريمو كافور " الايطالية عام ١٩٩٤.

أما في ثلاثية" دماء فى الشمس " يقدم نقدا للعلاقات الاجتماعية والقبلية، حيث يحاول ان يؤكد ان ما يجب ان يربط الصوماليين هو الحب وليس الدم، وتتكون من خرائط (١٩٨٦) والتي يقدم فيها نور الدين فرح دراسة في ثقافة اليأس وغياب اليقين في فترة ما بعد الاستعمار، وتعتبر خرائط هي اهم اعماله بأجماع النقاد الراوي فيها هو الضمير الغائب، وهي عن ايتام الحرب في اوغادين، البطل يحمل اسم عسكر قامت خادمة اثيوبية بتربيته وتدعى " مسرا "، وعندما يبلغ الولد سنة السابعة عشرة، وعليه الاختيار بين الدراسة والخدمة في الجيش، يعرف ان مربيته الاثيوبية خانت قريته من اجل حب جندي اثيوبي، ويحاول فرح هنا ان يقدم لنا الكفاح، والصراع بمعانيه الوطنية والشخصية، فالشاب كان عليه الاختيار بين امه، الوطن وامه بالتبني التي عادت اليه كخائنة. وبين خريطة الوطن/ المكان، يبدو عسكر مثل هاملت صومالى، حائر، مترددا، تصطرع داخله مشاعر الحب والكراهية، ويتنازعه حلم القلم او خيار البندقية، وهنا تكمن القيمة الجمالية، كما تتجلى المفارقة، لا سيما عندما يتحقق الانفصال والخلع عن رحم الحياة الذي يغدو– فجأة– عدواً خائناً... على الرغم من أن مسرا باتت أماً غير بيولوجية لعسكر،

ولكنها قبل كل شيء كانت عالماً كاملاً، فهي المرأة التي يحتاجها (الذكر)، لا بالمعنى الذي ينصرف إلى كونها إحالة إلى تمثيل أنثوي، إنما تتجاوز ذلك نحو تجسيد المرأة باعتبارها رحماً، ووطنا، وحبيبة، وسكناً. وهكذا أضحت مسرا حدود العالم، ومنتهاه، وبين هذين الكائنين ثمة لغة قوامها الجسد والعيون والرائحة والصمت. تبقى مسرا سيدة العوالم المختلطة، غير أنها من منظور المحيط لم تكن إلا امرأة من الشّمال، أو مجرد خادمة، اما بالنسبة له كانت هي الكون برمته، بل مجموعة الأفكار التي تغذى عقله عليها.

الجزء الثاني من الثلاثية هو "هدايا" (١٩٩٦)، ومع ان النبرة في الرواية اخف، الا ان فرح يريد ان يقول لنا ان وضع الانسان في موضع من يعطي لا من يأخذ سيكون احسن، لان قبول العون غالبا ما يجعل الانسان مدينا للذين قدموه وقد حللت اثر المعونات الاجنبية، فممرضة تعمل في قسم الولادة تزوجت مرة وترملت في الاخري تحاول ان لا تعيد التجربة تلتقي شاب متخصص في الاقتصاد، درس في امريكا، اسمه بوساسو، وهو يقود سيارة قريبه، ويجد بوساسو ودنيا قاسما مشتركا لهما وشعور كل منهما بحضور الاخر، وكأنهما تشاركا الموت والحياة، وتقدم الرواية صورةاعمق واكثر تفاؤلا عن المجتمع الذي يعيش الحرب، اكثر من رواية خرائط التي ركزت على اثار حرب اوغادين على الوعي الجمعي

الصومالي، والتي كحدثت عام ١٩٧٧ وكانت بداية انهيار الدولة الصومالية الحديثة.

اما الجزء الثالث "اسرار" (١٩٩٨) تقدم صورة عن تاريخ الصومال القاسي وعن الحقد والكراهية، في الرواية يعرف كالامان، رجل الاعمال الشاب الحقيقة عن نفسه وعائلته وانه كان نتاجا لعملية اغتصاب جماعي تعرضت له امه. يعيش كالامان في مقديشو وفي يوم تزوره صديقة طفولته شولونغو، وتقول له انها تريد ان تصنع ولدا معه. وتسكن شولونغو التي تملك مميزات سحرية في شقته ويشك كالامان في ان لها علاقة مع والده. يقص نور الدين فرح القصة من زواية مختلفة وهي ان كل واحد في العائلة لديه اسراره، حيث يقول نقول في الصومال انك لا تسأل شخصا تعرفه ليحكي لك عن شيء تعرفه، يرفضها كالامان ولكنها ترفض حيث تنام مع جده الذي يموت حيث يختم فرح الرواية قائلا جثة واحدة وثلاثة اسرار.

من الجدير بالذكر ان فرح فى ثلاثيته استعاد صورة الثائر الصومالي المعروف محمد عبدالله حسن الذي اعتبرته الادبيات الايطالية الملا المجنون ومحمد عبدالله حسن يمثل التراث الشفاهي والشعر الصومالي المعروف وتقاليد القبيلة، فعبدالله حسن يمثل في الصورة الصومالية صورة الفارس المنتصر.

اكتسب فرح شهرة عالمية بعد فوزه بالعديد من الجوائز الأدبية في إيطاليا، السويد، ألمانيا، فرنسا، من ضمنها جائزة نيوستاد عن مجمل أعماله الادبية عام ١٩٩٨ وهي جائزة تُمنح كل سنتين وتُعد ثاني أهم جائزة أدبية في العالم بعد نوبل التى رشح لها أكثر من مرة كان اخرها عام ٢٠١٥.

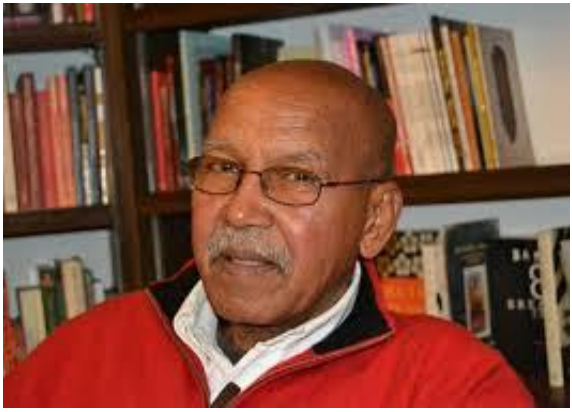

الكاتب الصومالى نور الدين فرح

٤- سيدار سنجور. ...عاشق افريقيا وفيلسوف أدب الزنوجة

يعتبر ليبولد سيدار سنجور من أهم المساهمين فى وضع أسس الهوية الافريقية.

ولد سنجور في عائلة ارستقراطية فى ٩اكتوبر عام١٩٠٦ بمدينة ساحلية صغيرة "جوال" تبعد مائة كيلومتر عن العاصمة السنغالية داكار، لعائلة كاثوليكية لذلك بدأ دراسته في إحدي المدارس الداخلية الكاثوليكية في " ناجاسوبيل ".

فى عام ١٩٢٣ أصبح سنجور طالبا فى كلية "ليبرمان" وبناء على تفوقه حصل على منحة من الحكومة الفرنسية؛ وسافر الى فرنسا عام ١٩٢٨ لاستكمال دراسته؛ والتحق عام ١٩٣١ بجامعة السوربون لدراسة الادب كما حصل على الجنسية الفرنسية.

عشق سنجور الفرنسية وأجاد اللاتينية واليونانية وظهر تميزه في كتابة الشعر منذ أن كان طالبا، ومن خلال التقائه بالشاعر "ايمى سيزار" الذى كان طالبا فى باريس وقتها استطاع سنجور الاتصال بالطلاب الكاريبيين وتابع كتابات الافروامريكيين وشعراء نهضة هارليم وكتابات حركة الزنوجة الجديدة.

ذاع صيت سنجور وأصبح بعد فترة رئيسا لاتحاد طلاب السنغال الذى كان قد تكون فى باريس.

عمل سنجور مدرسا للادب وقواعد اللغة الفرنسية بمدرسة ثانوية فى مدرسة تورس "Tours" الفرنسية، وأصبح له علاقة ب "جورجس بامبيدو" الذى أصبح رئيسا فى المستقبل.

درس سنجور علم اللغويات وعلم الانثرجرافيا الافريقى وحاول من خلاله أن يدلل على تفرد الثقافة الافريقية؛ وفى بداية الحرب العالمية الثانية أنضم الى الجيش الفرنسى والقى القبض عليه من خلال الجيش الالمانى وقضى ثمانية عشر شهرا فى محبسه الذى استغله فى كتابة العديد من القصائد والمقالات، شعر سنجور بالكراهية والاشمئزاز لكل أنواع الحروب وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وأراد بشدة أن يكون رجل سلام ورجل اصلاح ولذلك ظهرت مظاهر العنف فى كثير من قصائده ضد الاستعمار والامبريالية الاوروبية، ومن شدة تأثره بوضع الافريقيى فى تلك الحروب عبر بالعديد من القصائد والاعمال الادبية عن حزنه العميق لسوء معاملة الافارقة، ويرثى فيها الجنود الذين ماتوا بدون اى ذنب ارتكبوه فى حين كرمت فرنسا جنودها ووضعت اكاليل الزهور على قبورهم ولم تهتم بالجنود الافارقة الذي بلغ عددهم ٥٠٠,٠٠٠ افريقيى ،قد وقفوا فى الصفوف

الاولى كمشاة لصد الاذى عن الجنود الفرنسيين خلال الحربين العالميتين.

وبعد الافراج عن سنجور بفترة تقلد عدة مناصب فى منظمة اليونسكو ثم فى جمعية المجلس الاوروبى.

لقد كان سنجور يعارض قطع العلاقات مع فرنسا وعارض استفتاء سبتمبر ١٩٥٨ بشأن استقلال غرب افريقيا وقام بتشجيع تكوين اتحاد مالى الذى شغل منصب أول رئيس له ؛ثم أصبح سنجور أول رئيس للسنغال المستقلة فى يناير ١٩٦١وظل رئيسها حتى عام ١٩٨٠ حيث أعلن تقاعده عن العمل السياسى فجأة وفى العام التالى فقد ولده الوحيد من زواجه الثانى (كان سنجور قد تزوج لأول مرة من ابنة الحاكم الفرنسى لأفريقيا الاستوائية عام ١٩٤٦ م وانجب ولدين ولكنه طلقها عام ١٩٥٥م، ثم تزوج فرنسية أخرى.

فى عام ١٩٨٣م انتخب عضوا بالاكاديمية الفرنسية، فكان أول افريقي يدخل هذه المؤسسة العريقة.

سنجور والهوية الافريقية

ظلت السنغال مستعمرة فرنسية لمدة ثلاثة قرون. عشق سنجور فرنسا بالرغم من احتلالها لبلاده فولد فيه هذا الحب صراعا بلا نهاية بين انتمائه الأفريقى وثقافته الزنوجية وانغماسه فى جذورها وبين ارتباطه العقلى والعاطفى واللغوى بفرنسا.

لقد ظهرت الزنوجة نتيجة خبرات التمييز والاغتراب التى مر بها الطلاب السود القادمون من افريقيا والكاريبى الذين كانوا فى باريس فقد كان لوعيهم بالعنصرية والاختلافات الثقافية الاثر والواقع لتساؤلهم حول هويتهم الثانية كسود وفرنسيين وحاولوا معارضة سياسة الاستيعاب ورفضوا فكرة دونية الثقافة الافريقية من خلال ابراز وتنمية الاهتمام بأفريقيا وثقافتها وتاريخها التى تتمتع بنوع من التفرد لقد قدم سنجور اسهامه فى ذلك المجال من خلال شعره الذى يحتفى فيه بكونه اسود فى مجتمع عنصرى؛ وبدء عام ١٩٣٦ فى استخدام مفهوم الزنوجة؛ فلزنوجة فى فكر سنجور تقوم بوظيفة دلالية فى السياق الكامل للقومية السوداء، هى حالة داخلية للانسان الاسود من خلالها تبرز كينونته؛ وهى عند سنجور تأكيد للذات الثقافية والاثنية للافارقة؛ ومن وجهة نظره فأن الدور السياسى للزنوجة يتمثل فى أعداد السود سيكولوجيا للتجاوب مع الحداثة وسط تأكيد على الذات السوداء الزنجية؛ فكان يرى أن الثقافة "رد الفعل الاثنى

للأنسان بناء على بيئته وذلك بهدف الوصول لتوازن فكرى وأخلاقى بين الانسان وبيئته.

سنجور شاعرا

فى أغلب قصائد سنجور توجيه لكل افريقى وكل اسود الى اليقظة والصحوة من الغفلة التى تخيم على كل أفرقيا وبلدانها، لقد تغلبت النزعة الادبية عند سنجور لكى يدافع بها عن أفريقيته وعن حرية بلاده من القيود الاستعمارية.

كان سنجور الشاعر يأبى أن يتنازل عن شخصيته الافريقية ويصر على الاحتفاظ بأصالته ويفتخر ببشرته السوداء، لقد كان يستفيد من المامه بالثقافة الافريقية والفرنسية، وفى كثير من المواقف كان سنجور شديد الفرنسية بالنسبة لأفريقيا وشديد الزنجية بالنسبة لفرنسا.

تعد قصيدة التحرر من اهم قصائد سنجور ،وكانت لها صدى كبير فى المستعمرات الفرنسية بغرب افريقيا حيث يحث فيها الافارقة على النضال والتحرر من نير الاستعمار.

أما قصيدة "لوكسمبورج" سنة ١٩٣٩ وقصيدة "باريس فوق الثلج" يعبر فيهما سنجور عن أفكاره التحررية حيث قال" هاهو قلبى يذوب كما يذوب الثلج وانى لا أنس الايادى البيضاء التى أطلقت تلك

البنادق، وبها تهدمت الامبراطوريات والايدى التى جلدت العبيد، والايدى القوية الواثقة من قوتها التى اسلمتنى للوحدة والحقد، والايدى البيضاء التى انهالت على غابات افريقيا فى قلب افريقيا العذراء".

والفرق بين شعر سنجور والشعراء الاخرين فى ذلك المضمار انه تناول الادب والشعر بروح قومية وليست بالعنصرية كشأن الباحثين الغربيين، لذلك أستخدم فى قصائده الالات الافريقية والكلمات الافريقية التى عبرت عن جذوره الافريقية لقد سئل الرئيس الراحل ليوبولد سنجور عن الخيار الذى ينحاز اليه بين أن يكون رئيسا أو استاذا جامعيا أو شاعرا فأجاب "اختار قصائدى"؛ أصدر فى حياته ثمانية دواوين شعرية؛ من أهما ديوان اثيوبيات وديوان قربان أسودومواسم الامطار، ورثاء الصابيات وديوان مرثيات الرياح الخفيفة.

كما قدم العديد من المقالات والتى ضمت عدة كتب صدرت وترجمت الى اغلب لغات العالم؛ بالاضافة الى منتخبا من الشعر الافريقى والملاجاشى بمقدمة ل"جان بول سارتر" جمع فيه نخبة متميزة من شعر زملاءه الذين يكتبون بالفرنسية.

نجح سنجور عام ١٩٤٧ فى تأسيس مجلة Presence "Africaine" وهى أهم مجلة ثقافية جامعة تعنى بأفريقيا فى أوروبا ومازالت تصدر حتى اليوم.

نال سنجور العديد من الجوائز لعل أهمها جائزة نوبل ،الجائزة الدولية الكبرى للشعر عام ١٩٦٣، والميدالية الذهبية الفرنسية عن مجمل مؤلفاته، وجائزة موناكو الادبية عام ١٩٧٧، بالاضافة للعديد من الجوائز العالمية. جدير بالذكر أن سنجور ألف النشيد الوطني السنغالي (الأسد الأحمر) وحكم البلاد بمفهومه للديمقراطية الذي اكتسبه من فرنسا من خلال توليه مناصب وزارية فيها قبل عودته إلى البلاد، وكان يأمل أن تحقق القارة" الاستقلال الثقافي والاقتصادي عن الاستعمار" لكون ثروات القارة تتعرض للنهب الإمبريالي، لكنه كان يجسد التناقض؛ فبينما يعتبره الموالون له نموذجا للشراكة بين فرنسا ومستعمراتها القديمة ذهب المناوئون إلى اعتباره من أذناب فرنسا وعملاء الاستعمار.

رحل سنجور فى ٢٠ ديسمبر ٢٠٠١ فى باريس؛ بعد أن رسخ لمبدأ أن الفن الحقيقى هو السبيل الوحيد لتحقيق الذات وأن الاخوة ليست فقط رباطا وثيقا بين ابناء الجنس الواحد ولكنها رباط لكل البشر فى شتى أنحاء العالم؛ ليظل سنجور نفسه أهم شاعر افريقى كتب

بالفرنسية ليشكل شعره عالما بذاته وهو عالم يغرى بالدخول اليه والتأثر به.

مختارات من شعره.. جزء من قصيدة بعنوان "فى الذكرى"

اليوم يوم الاحد
ينتابنى الخوف من وجوه زملائى الحجرية المزدحمة
ومن برجى الزجاجى الذى تسكنه الوان الصراع
والاسلاف القلقين
أرى الاسطح والتلال ملفوفة بالضباب ،بالسلام
يا لأحلامى صارت هباء كلها ،كل احلامى
فالدم يسفح بالمجان فى الشوارع ويختلط بدم المسالخ.

- **قصيدة ليلة الخطيئة**

تظهر النجوم، وتحلم الليالى الان

تستند على تلة الغيوم ، مرتدية حلتها القشيبة

وسطوح الاكواخ تتألق حنانا

ماذا تقول سرا للنجوم ؟ فى الداخل ،تخمد النيران

قريبا من الامنيات الحلوة والمرة

ايتها المرأة، ضعى يديك الناعمتين على جبيني

فيديك اكثر نعومة من الفراء

حقق التوازن فوقنا بين اشجار النخيل

فبالكاد نسمع حفيفه فى نسيم الليل ،لا تهاليل

دعى الصمت الايقاعى يمسك بنا ،اصغى لأغنيته

واسمعي دقات دمنا القاتم.

اسمعى نبض افريقيا فى ضباب القرى المفقودة

والان حددى القمر الضجر على قاع بحره الراكد

فانفجارات الضحك تهجع ،وكذلك السارد

يتمايل رأسه مثل طفل على ظهر أمه

تتثاقل ارجل الراقص، وتثقل ايضا اصوات المطربين تناوبا

ايتها السيدة، اضيئى المصباح النفطى ،ودعى الاسلاف

يتكلمون من حولنا كما يفعل الاباء لأطفالهم فى السرير

دعينى اسمع بريق ارواحنا الحميمة تزور الكوخ الممتلىء دخانا

ورأسى على صدرك دافىء ومتدفق من النار

دعينى اتنفس رائحة موتنا، دعينى اجمع واتكلم مع اصواتهم المفعمة بالحياة. دعينى اتعلم العيش قبل ان اغوص اعمق من الغواص فى عمق النوم العظيم.

سيدار سنجور

الفصل الثالث

العلاقات الثقافية بين مصر وبعض البلدان الأفريقية

أولاً: العلاقات الثقافية بين مصر وغانا

أن العلاقات الثقافية بين اى دولتين قد تدخل ضمن الاطار الشعبى الذى يصبح بعد فترة من الزمن عنصر ضغط على الانظمة السياسية لحدوث تقارب بين تلك البلدين.

وتعد العلاقات الثقافية بين مصر وغانا مثالا على ذلك حيث مثلت تلك العلاقات احدى وسائل التقارب والتجانس بين الشعبين.

أولًا- المكون الثقافي وأثره على العلاقات بين الشعبين.

كانت غانا قبل الاستقلال يطلق عليها ساحل الذهب. وهذا الاسم قد أطلقه عليها الأوروبيون منذ القرن الخامس عشر، وظل هذا الاسم The Gold Coast هو الاسم الرسمي لهذه البلاد حتى الاستقلال فأصبح اسمها غانا Ghana

من هنا كان لابد عند بداية الحديث عن تفاعلات العلاقات الثقافية بين الدولتين أن نتحدث عن المكون الثقافي لدى الشعبين الغاني والمصري، ونتسائل هل نجح هذا المكون الثقافي في إقناع كل شعب

بقبول ثقافة الطرف الآخر؟ لقد كانت أول نقطة للتلاقي الثقافي لدى الشعبين هي وحدة الأصل؛ فالمعروف أن المصريين يرجعون في أصلهم إلى ممالك مصر القديمة الفرعونية وهم الأجداد الحقيقيون للشعب المصري، والحقيقة أن الشعب الغاني يرجع في أصله الحضاري إلى نفس الممالك المصرية القديمة؛ حيث يرجع أصل أكبر جماعتين في غانا وهما الأشانتي The Ashanti والفانتي The Fanti إلى شعوب الآكان The Akans، وقد أثبتت العديد من البحوث الآثارية أن هناك صلة بين شعوب الآكان في غربي أفريقيا والممالك المصرية الفرعونية، وقد وضحت هذه الصلة من خلال نقوش الآلهة ووجود الشبه الكبير بين هذه النقوش عند الآكان ونقوش الآلهة عند قدماء المصريين، من حيث وجود آلهة الأرض وآلهة السماء، وأيضًا عبادة الشعبين لقرص الشمس، وأن أسماء آلهة الشمس مشتركة عند الشعبين، ولم تكن الصلة في الآلهة فقط وإنما أيضًا من خلال التشابه في ثقافة الزراعة وقيمة الأرض الزراعية عند الشعبين، ووجد الشبه أيضًا من خلال الاحتفالات لدى الشعبين وظهر ذلك في وجود احتفالات استقبال فصول الربيع والخريف في فكرة البعث والخلود بعد الموت، ووضع الملوك وملابسهم وممتلكاتهم وأسمائهم و والعادات والطقوس الجنائزية وطرق الدفن لهؤلاء الملوك. من هنا ظهرت الصلة الواضحة بين ممالك مصر القديمة وشعب الآكان في غانا، ومن الواضح أن هذا الشعب قد هاجر من مصر

في الألف الأولى قبل الميلاد واستقر في غربي أفريقيا وبالتحديد في مكان دولة غانا الحالية.

اما فى العصر الحديث فأن الشعب الغاني كان يحمل لمصر حنينًا خاصًا، حيث أكد الدكتور كوامي نكروما رئيس الوزراء الغاني للسفير المصري في أكرا أنه وشعب غانا يحملون لشعب مصر وإسم مصر شعورًا وحنينًا خاصًا وأنهم لايعرفون بالضبط أصل هذا الشعور وأكد نكروما أنه مازال يوجد بينهم في غانا من يعتقد بالفكرة القديمة المتوارثة القائلة ((بأن مصر قد نزلت من السماء)).

بغض النظر عن معرفة حقيقة هذه الأقوال بل هم توارثوها عن أجدادهم وظلوا يرددونها، وقد رحب الغانيون بزواج زعيمهم الوطني من سيدة مصرية هى السيدة فتحية حليم رزق ، وأكدوا أن تكون السيدة الأولى في غانا مصرية لهو احساس مساوي تمامًا لأن تكون سيدة غانية وطنية وهم مع ذلك لا يعرفون أصل هذا الشعور؛ حيث وجد العديد من الغانيين الذين تساءلوا لماذا كل هذا القدر من السرية؟ حيث كان هناك العديد من النساء في غانا يريدون أن يجعلوا يوم زفاف رئيس الوزراء عطلة قومية، وأن إحدى السيدات الغانيات كانت تريد أن تدفع أموالًا لشراء فستان العروس.

وقد ظهر هذا الشعور أيضًاعند زيارة الدكتور نكروما رئيس وزراء غانا والوفد المرافق له إلى القاهرة في يونيو 1958؛ فعند وصول الطائرة إلى القاهرة ومرورها فوق الأهرام المصرية صاح الوفد المرافق فرحًا لرؤيته لها وصل الى حد البكاء.

وكانت نقطة التلاقي الثانية التي تلاقى عندها الشعبان ثقافيًا هي شخصية الرئيس جمال عبدالناصر؛ وبالتحديد في عام 1956 والذى رأوا فيه شخصية تحارب من أجل تحقيق الاستقلال الوطني لبلاده؛

بل اعتبروه موجه فكري وسياسي وأيديولوجي لحركة الجماهير، وكانت هذه الشعوب تنظر إليه على أنه يخاطبهم وعلى أنه زعيمهم وقائدهم وليس زعيمًا للمصريين فحسب.

ولهذا نظر الشعب الغاني لحظة استقلاله إلى مصر وإلى زعيمها نظرة تنم عن أنه لابد لهذا الشعب أن يتواصل ثقافيًا مع الشعب المصري وزعيمه. بل كانت لحظة الحب التي عاشها الشعب الغاني عند تقليد ملك الأشانتي للرئيس عبد الناصر تاج ملك أفريقيا حيث كان هذا التتويج يمثل الكثير لدى الشعب الغاني لأنهم يعرفون حجم ملك الأشانتي عندهم.

أما نقطة التلاقي الثالثة بين الشعبين ثقافيًا هي شخصية الدكتور نكروما رئيس وزراء غانا من عام 1957 وحتى عام 1960 ثم رئيس

جمهورية غانا من عام 1960 وحتى عام 1966؛ حيث كان المصريون قد وعوا اهتمام القيادة السياسية المصرية بالقارة الأفريقية، وأدركوا أن أفريقيا ستكون محورًا هامًا من الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية، وقد أيقن المصريون أفريقيتهم بعد تأليف كتاب فلسفة الثورة من قبل الزعيم جمال عبد الناصر، ومن هنا بدأوا تتبع أخبار القارة بعد اهتمام الإعلام المصري آنذاك بهذه الأخبار، واهتمام السياسة المصرية بالوضع الأفريقي والاتصال معه.

فبدأوا ينظرون إلى القارة الأفريقية وزعمائها نظرة احترام وتقدير؛ في هذه الأثناء ظهرت غانا على مسرح الأحداث كأول دولة أفريقية مستقلة جنوب الصحراء، وكان ذلك الظهور في عام 1957 أي بعد أيام من انتصار الإرادة المصرية أمام قوى العدوان الثلاثي في معركة السويس، من هنا ربط المصريون بين انتصارهم في هذه المعركة وهزيمة البريطانيين على الأراضي المصرية وبين استقلال غانا من ربقة الاستعمار البريطاني، وقد سعد المصريون بفقدان الأسد البريطاني مكانته في كل مكان في شمال شرق القارة وفي أقصى غربها وكان ذلك في وقت واحد، في هذه الأثناء تسائل المصريون عن شخصية الزعيم الغاني الذي وقف أمام الاستعمار البريطاني وكانوا لايصدقون أن في الأرض زعيم سيواجه البريطانيين مثل عبد الناصر، ولكنهم أدركوا أن هناك شخصًا آخرًا حقق نفس

النتيجة وحرر أرضه من ربقة البريطانيين بغض النظر عن طريقة هذا التحرير ووسائله، فارتفعت مكانته عندهم، وشعروا بأن نكروما قد استكمل ثأر المصريين عندما أخرج البريطانيين من أرضه.

وعندما أعلن أن الدكتور نكروما سوف يزور القاهرة في شهر يونيو 1958 بدأ الإعلام المصري المتمثل في الإذاعات المسموعة والصحف المصرية في إعداد حملة دعائية كبيرة للدكتور نكروما وتحدثت الصحف المصرية أيضًا عن نظرة نكروما للإمبريالية الغربية وأكدت بأن نكروما ليس أداة لواشنطون أو لندن بل هو زعيم وطني يريد أفريقيا للأفريقيين؛ كانت مثل هذه المقالات قد جعلت الشعور العام لدى المصريين يرحب بنكروما كبطل قومي، لدرجة ان الجماهير المصرية كانت ترحب به فى اى مكان حل به ،فخلال زيارته لمصانع الحديد والصلب بحلوان وجد أن المصريين أعدوا لوحات الإعلانات المعبرة بفرحتهم بوجوده وقد كتبوا على بعض منها عبارات بلغة الفانتي وهي لغة الوطنيين في غانا، ومن هذه العبارات عبارة [Nkrumah Akwaaba Nkrumah Ayekoo]. وهكذا وجد من العوامل التي أدت إلى ترحيب المصريين ثقافيًا بالشعب الغاني.

ثانيًا: دور الأزهر الشريف في غانا.

أحد آليات الدبلوماسية المصرية في أفريقيا وأقدمها على الإطلاق وهي الأزهر الشريف؛ والحقيقة أن دور الأزهر الشريف في غانا كان قد بدأ قبل الاستقلال بفترة كبيرة؛ إذ كان يوجد في الأزهر الشريف في النصف الأول من القرن العشرين رواق يسمى رواق البرنية؛ حيث خصص هذا الرواق للطلبة الوافدين من مناطق غربي أفريقيا [ساحل الذهب، والسنغال، وغينيا، ونيجيريا] ، وكان هذا الرواق من أهم الأروقة في الأزهر الشريف، وقد كان جميع طلاب هذا الرواق قد درسوا على المذهب المالكي وهو المذهب المنتشر في غربي أفريقيا.

وكانت من ثمرات ذلك أن أصبح الوافدون الذين تخرجوا في الأزهر من الدعائم القوية في توثيق علاقة مصر ببلاد كثيرة وشعوب أفريقية متعددة، واكتسب الأزهر بذلك في المحيط الأفريقي قدسية ونال المنتسبون إليه من هذه الشعوب احترامًا وتقديرًا.

وفي غانا قام الأزهر بدور كبير في العديد من المدارس مثل مدرسة المقاصد الإسلامية، ومدرسة جامع الشريف محمد عبده، والذى امدها الازهر بالكتب والادوات وبذلك استطاعت هذه المدارس أن

تتغلب على أهم عقبة واجهتها في أداء دورها وهو احتياجها للكتب الدينية والأدوات التي تساعدها على أداء رسالتها.

ثالثا: التعاون الثقافي بين الدولتين في إطار المراكز الثقافية

كانت العلاقات السياسية بين غانا وإسرائيل قد بدأت من قبل حصول غانا على الاستقلال، وكان هذا الأمر قد مهد لإسرائيل فرصة التحرك ثقافيًا داخل غانا مبكرًا، وقد استخدمت في ذلك المنح الدراسية التي منحتها الحكومة الإسرائيلية للشعب الغاني، واستخدمت أيضًا الخبرة الإسرائيلية في المساهمة بالنهوض الثقافي والاقتصادي بالشعب الغانى، ولكنها لم تستطع أن تفكر في إنشاء مركز ثقافي إسرائيلي في غانا لأنها كانت تعلم جيدًا بان ثقافتها مزيفة ولن يقبل عليها أحد من الشعب الغاني.

وبذلك كانت مصر قد وجدت هذا المجال خاليًا أمامها لكي تقوم بإنشاء مركز ثقافي يسعى لنشر الثقافة المصرية بين الشعب الغاني وبالفعل أثناء زيارة الدكتور نكروما إلى القاهرة في يونيو 1958 تم الاتفاق بين الجانبين على إنشاء المركز الثقافي المصري في أكرا، وتقرر أن يتألف هذا المركز من مكتبة تضم العديد من الكتب العربية والإنجليزية وقاعة للمحاضرات وأخرى للاستقبال وصالة سينما، وتعيين مديرًا لهذا المركز في أقرب وقت ،و كان التخوف من

وصول هذه الدعاية إلى المناطق الاستعمارية التي كانت لاتزال تخضع للاستعمار البريطاني في غربي أفريقيا مثل نيجيريا وسيراليون، وأيضًا مناطق التواجد الفرنسي في غربي أفريقيا، ومناطق النفوذ الأمريكية مثل ليبيريا، ولذلك أصيبت هذه الحكومات بالذعر وطلبت معرفة الأشخاص والأجهزة ومساحة هذا المركز.

وقد شدد مدير المركز الثقافي على أن وظيفة المركز من خلال خدمات مكتبته والمحاضرات والمناقشات والحلقات الدراسية ومعارض الفن والموسيقى، وأضاف أن المركز بصدد إصداره لنشرته الثقافية التي تغطي أخبار المدارس والجامعات والمحاضرات والجمعيات والأخبار الأدبية والإصدارات المترجمة عن الجمهورية العربية المتحدة، وقد أكد على أن المركز كان في انتظار استقبال عشرة آلاف كتاب ليجهز بها، وكان منتظرًا أن تصل هذه الكتب عند الافتتاح الرسمي للمركزالذى افتتح في8 يونيو 1959،.

وقد قامت الحكومة المصرية بإنشاء مركز ثقافي آخر في مدينة كوماسي في غانا في عام 1960 ويبدو أن إنشاء هذا المركز كان نتيجة طلب قبائل الأشانتي مركزًا ثقافيًا آخر غير المركز الذي كان في أكرا، وقد قام المركزان بدور مهم في نشر الثقافة المصرية في

غانا والعمل على إيقاف الدعايات الصهيونية والاستعمارية فيها والتي كانت ضد مصر والعالم العربي[1].

الرئيس جمال عبد الناصر وكوامى نكروما وزوجته المصرية وابنائه

(١) للمزيد انظر اسامة عبد التواب، العلاقات المصرية الغانية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الأفريقية.

٢- جهود مصر الثقافية فى اثيوبيا

لم تكن العلاقات المصرية الاثيوبية علاقات وليدة العصور الحديثة بل هى علاقات قديمة تعود الى مصر الفرعونية، ولم تقتصر تلك العلاقات على العلاقات السياسية فقط بل كانت هناك علاقات دينية وثقافية جمعت بين البلدين.

اولا: العلاقات الدينية

بدأت العلاقات الدينية منذ القرن الرابع الميلادى واستمرت حتى الان؛ حيث ارتبطت الكنيسة المصرية بالكنيسة الاثيوبية، وكان من علامات الوفاق بينهما خضوع الكنيسة الاثيوبية كلها لعقيدة واحدة ورئيس واحد هو المطران المصرى، بل وخضوع كافة رجال الدين الاثيوبيين له وظيفيا وعقائديا، ووجود احترام متبادل بين الامبراطور والمطران المصرى.

لقد كانت الكنيسة هى من تمد الكنيسة الاثيوبية بالمطران للدرجة التى وصلت ان الحياة تتوقف فى اثيوبيا أذا لم ترسل الكنيسة المصرية للكنيسة الاثيوبية المطران؛ فهو من يقوم بتنصيب الامبراطور ،ويقوم بعقد الزواج وتعميد الاطفال...الخ

من هؤلاء المطران الانبا سلامة الثانى الذى لعب دورا كبيرا فى نقل النهضة الدينية للكنيسة المصرية الى الكنيسة الاثيوبية؛ اذ قام بترجمة كتب كثيرة من اللغة العربية الى اللغة الاثيوبية لدرجة ان لقبه الاثيوبيون بأسم (ترجوامى) اى المترجم؛ وذلك لما اسداه للادب الاثيوبى من خدمات؛ فقد احيا ادب الكنيسة حيث راجع الكتاب المقدس على النص العربى ونقل كتب الطقوس والميامر " السير" وحياة الشهداء والقديسين وصحف الرهبنة من العربية الى الاثيوبية.

لم تقتصر الترجمة على الكتب الدينية فقط؛ بل ترجمة كتب ادبية اخرى مثل كتاب "تاريخ اليهود" الذى يعتبره الاثيوبيون أحد الكتب الثلاثة الملحقة بالكتاب المقدس، هذا بالاضافة الى مجموعة اخرى من الكتب الادبية واللاهوتية وغيرها من الكتب التى الفها الاقباط فى مصر.

لقد كانت الكنيسة المصرية تمر فى القرن الثالث عشر بنهضة دينية ادبية بسبب تدهور اللغة القبطية واحلال اللغة العربية محلها، لذلك فقد بدأ الاقباط يعيدون كتابة مؤلفاتهم القبطية القديمة باللغة العربية ،كما أنهم نشطوا فى كتابة مؤلفاتهم الحديثة باللغة العربية وانعكست هذه النهضة على اثيوبيا. هذا على أن اهم كتاب على الاطلاق ترجم فى عصر النهضة هذا هو كتاب "المجموع الصفوى" لابن العسال، وهذا الكتاب يبحث فى جزئه الثانى عما يجب أن تقوم عليه

العلاقات بين الافراد المسيحيين فى كل شئونهم الدينية والمدنية، ولقد أعجب به الاثيوبيون مما جعلهم يتخذونه بعد ذلك فى القرون التالية اساسا لحياتهم العامة والخاصة بعد ان اطلقوا عليه "فتح نجست" وهذا الكتاب ظل الى الوقت الحالى وهو بذلك يكون اقدم مجموعة قانونية مستعملة حتى الان.

ثانيا : العلاقات الثقافية

عندما بدأ الإمبراطور منليك الثاني في إنشاء المدارس في أثيوبيا على النظام الحديث، وانشأ مدرسة (منليك الثاني) في عام ١٩٠٧ أرسل إلى مصر يطلب مساعدتها في اختيار بعض المدرسين المصريين للعمل في هذه المدارس، فأرسلت له ستة من الأساتذة المصريين برئاسة الأستاذ "حنا صليب" الذي أصبح بمثابة مستشار الإمبراطور في الشئون التعليمية، وقسموا المدرسة إلى قسمين قسم إنجليزي، وقسم فرنسي، وظل التدريس في هذه المدرسة على أيدي مدرسين مصريين، حتى الاحتلال الإيطالي للبلاد في عام ١٩٣٦، وقد تخرج على أيدي المدرسين المصريين معظم رجال الدولة من وزراء سياسيين، منهم من وصول إلى منصب وزير التعليم عام ١٩٣٤، هو بلاتن جينا سهلا سيدالو الذي كان يفخر بأنه تلميذ للأساتذة المصريين في القسم الفرنسي وقد اختير أحد هؤلاء الأساتذة ليكون ناظراً ومدرساً في مدرسة هرر، وآخر لمدرسة جورى في

الغرب ، ولقد ظلت إثيوبيا تستعين ببطريركية الإسكندرية في اختيار أساتذة لمدرسة منليك الثاني حتى عام ١٩٢٦، حين لجأت لوزارة المعارف بعد إنشاء القنصلية المصرية بأديس أبابا عام ١٩٢٧، فأرسلت إليها أربعة أساتذة برئاسة الأستاذ مسيح عبد السيد عام ١٩٢٨ للعمل بمدرسة منليك الثاني، التي كانت تعرف وقتئذ بمدرسة المصريين، كما سعت القنصلية المصرية لتعيين اثنين من المدرسين في المدرسة الأهلية الإسلامية بأديس أبابا، وكان يتقاضيان مرتباتهما من الجامع الأزهر.

وتوالى إرسال المدرسين المصريين إلى إثيوبيا، مثل جورج عبد الملك الذي عين مديراً لمدرسة منليك الثاني، وزاهر رياض الذي وصل لأديس أبابا عام ١٩٣٤ ليعمل بالتدريس في هذه المدرسة.

عندما عاد الامبراطور هيلاسيلاسى الى بلاده عام ١٩٤١ أرسل الى الحكومة المصرية يطلب بعثة تعليمية للمساعدة فى إعادة بناء التعليم الوطنى فى أثيوبيا الذى هدمه الاحتلال الايطالى، فأرسلت إليهم الحكومة المصرية بعثة تعليمية حكومية فى

ابريل عام ١٩٤٣ مكونة من عشرة من الأساتذة المصريين بصحبة زوجاتهم وما كادت البعثة تصل حتى رأت الوزارة أن تستعين بكفاءات أفرادها المتعددة في تطعيم مختلف المدارس، بل لقد لجأت

الحكومة الإثيوبية إلى زوجات هؤلاء المدرسين ليقمن بالتدريس في مدارس البنات، وبالفعل قبلن العمل رغم ضآلة المرتبات التي عرضت عليهن ولقد قام هؤلاء المدرسون بواجبهم التعليمى والثقافى خير قيام.

ولم تلبث وزارة المعارف أن عينت رئيس البعثة الدكتور مراد كامل مستشاراً لها، يشرف على جميع مشروعاتها ويوجهها، ولقد ساهم الدكتور مراد كامل في الحركة الثقافية في إثيوبيا، من ناحية أخرى حيث ترجم بعض الكتب الأوروبية المكتوبة عن أثيوبيا وتاريخها، إلى اللغة الأمهرية فكانت الترجمة الأولى لهذه الكتب باللغة الأمهرية، منها كتاب كاستاتتهوذو عن المعونة البرتغالية أيام الإمبراطور جلاوديوس ولم يقصر دور مصر الثقافي على إمداد إثيوبيا بالمدرسين، فقط لإدارة العملية التعليمية، بل امتد الدور المصري لمجال الفنون الجميلة، فقد أرسلت مصر أحد فنانيها الكبار الرسام " **محمد ناجي** "، في بعثة إلى إثيوبيا من ١٩٢٨ إلى ١٩٣٣ ليساهم في النهضة الفنية حيث صور الطبيعة بألوانها الصاخبة، كما صور الامبراطور ورجال الدين والكثير من الشخصيات البارزة فى بلاط (هيلا سلاسى) واهداه احد البورتريهات التى رسمها له.

أما المسرح فقد بدأ ينشط في اثيوبيا عام ١٩٣٣، وذلك حينما تولى وزارة المعارف الإثيوبية بلاتن جيتا سهلا سيدالو، أحد خريجي

مدرسة منليك، فقد انشأ في فناء هذه المدرسة المسرح، وكان بالمدرسة أربعة فئات من المدرسين، هي الهنود الذين يقومون بتدريس اللغة الإنجليزية والرياضة، ثم اللبنانيون ويقومون بتدريس العلوم، ثم المصريون الذين تولوا تدريس الفرنسية والمواد الاجتماعية، وأخيراً الإثيوبيين، ويقومون بالتدريس في الفصول الأولى التي تعد التلاميذ للفصول العليا.

وقد إعتذر مدرسو الفئات الأخرى، ما عدا المصريين، الذين قبلوا الإشراف على المسرح دون مقابل، فكان مدير المدرسة المصري جورج عبد الملك ، يقوم بإعداد المسرح ، وطبع التذاكر، والإشراف على طبع الإعلانات، وتوزيعها على الفنادق والنوادي والوزارات، يساعده في ذلك زاهر رياض، المدرس المصري الوحيد بالمدرسة، بل كان الأخير يقوم ببيع التذاكر في شباك المسرح، ويسلم أثمانها إلى مدير المدرسة في اليوم التالي، فيسلمه بدوره إلى الوزير ،وكثيرا ما كان المدرس المصرى ومدير المدرسة يتعاونان مع المؤلف فى تأليف الرواية أو اجراء الحوار وذلك فى اطار افكار الرواية اذ انه لم يكن فى استطاعتهما تعديل أفكارها ، وكان حفل الافتتاح الأول الذي حضره كبار رجال الدولة، وعلى رأسهم رئيس الوزراء الإثيوبي في نوفمبر ١٩٣٤، وكان هذا الحفل تحت رعاية وزير المعارف ، ومدير المدرسة جورج عبد الملك ، والمدرس المصري الوحيد زاهر رياض.

الرسام محمد ناجى

الزعيم جمال عبدالناصر والأمبراطور هيلا سيلاسى

الفصل الرابع

التغلغل الثقافى الاسرائيلى فى القارة الأفريقية

كانت القارة السمراء – وما زالت – جزءًا أساسيا وهاما من المخططات الصهيونية، بل وكانت في البدايات جزءًا من مشروعه الاستيطاني؛ حيث تم اختيار بعض الدول الإفريقية وطنا مقترحا "لِلشعب اليهودي"، أو موقعا بديلا لتوطين اليهود في حالة فشل المركز الأصلي "فلسطين"؛ من تلك الدول المستهدفة كانت كينيا وأوغندا، حيث اهتم "ثيودور هيرتزل" و"حاييم وايزمان" بهما بشكل خاص، كما تم مخاطبة اللورد "كرومر" لإقامة الوطن القومي لليهود في السودان في العام ١٩٠٣، أي عندما كان السودان مستعمرة بريطانية، وذلك تماشيا مع رغبة اليهود الروس الذين كانوا يفضلون أرضا زراعية يمكنهم فلاحتها، بعدما ساءت أحوالهم في روسيا. وقد رحب "هيرتزل" بالفكرة لأنه رأى في شرق ووسط أفريقيا مكاناً مناسباً، خاصة وأن هناك تواجدا لليهود الأفارقة، لكن جميع هذه المقترحات تم رفضها واستبعادها نهائيا بعد وفاة "هرتزل"، وتم تبني فلسطين موقعا وحيدا للمشروع الاستيطاني الصهيوني، وذلك في المؤتمر الصهيوني السادس عام ١٩٠٣.

ألا أن إفريقيا لم تغب عن ذهن الساسة الإسرائيليين؛ وقد ركزت إسرائيل عليها نظراً لما تتمتع به القارة من مزايا استراتيجية، وأهمية حيوية للأمن الإسرائيلي، وما تنعم به من ثروات طبيعية ومعدنية ومخزون من المياه الوفيرة. وقد بدأ مخطط التسلل الإسرائيلي إلى أفريقيا منذ وقت مبكر بعد تأسيس الدولة العبرية، مستخدمة الأسطورة التوراتية ومقولة "شعب الله المختار" تارة، والوعود بتقديم المساعدات تارة أخرى، مستغلةً فَقر القارة الإفريقية وافتقارها إلى النظم التكنولوجية والعلمية الحديثة، وكثيرا ما كان يظهر الوجه الحقيقي لدوافع هذه السياسة بسعيها للسيطرة على المواقع الحيوية وإقامة محطات للتجسس، وإثارة الفتن والقلاقل، وتشجيع نزعات الانفصال وصفقات السلاح وتجارة الماس المشبوهة. . كانت بداية التسلل من غرب القارة، ثم امتد لوسطها وانتقل إلى شرقها، خاصة بعد فتح خليج العقبة أمام الملاحة "الإسرائيلية" عام ١٩٥٧، والذي استفادت منه "إسرائيل" في تسيير خطوط ملاحية بحرية منظمة ربطتها بإفريقيا وآسيا.

ومع انضمام إفريقيا إلى الأمم المتحدة صارت تشكّل كتلة صوتية لها وزنها في المحافل الدولية؛ لذلك سعت إسرائيل إلى كسب تأييد الدول الإفريقية، يقول: «أبا إيبان» وزير الخارجية الإسرائيلي السابق: «كانت إسرائيل في أمسّ الحاجة إلى إنشاء علاقات مع

إفريقيا تضمن منح أصوات التأييد لإسرائيل في المحافل الدولية، ولم يكن يكفي أن تعتمد إسرائيل على الفيتو الأمريكي والبريطاني والفرنسي في مجلس الأمن الذي كان محتاجاً إلى أصوات عشرات الدول الأخرى لكي تحول دون تدهور مركزنا وعزلتنا في الجمعية العمومية للأمم المتحدة".

وترجع العديد من المصادر التاريخية ازدهار العلاقات الاسرائيلية الافريقية الى بداية الخمسينات حيث عاشت هذه العلاقات ربيعها المزدهر، حيث استغلت اسرائيل حداثة استقلال بعض الدول الافريقية وحاجتها الى المزيد من المساعدات المالية والعلمية حيث تمد تلك الدول بالخبرة الفنية والعلمية وتزويدها بالتكنولوجيا المتطورة التى تفقدها القارة ،وتقدم اسرائيل هذه الخبرة بموجب اتفاقيات تسمى باتفاقيات التعاون الفنى.

أن تكريس فكرة التفوق التكنولوجى والعلمى لاسرائيل وكشف مدى العجز العربى عن تقديم المعونات الفنية وامداد القارة الافريقية بأحتياجتها التقنية هو أحد اساليب اسرائيل فى التغلغل داخل افريقيا فهى تخطط لتنفيذ المشاريع والاتفاقيات مع الدول الافريقية وتعد دورات تدريبية خاصة للافارقة فى اسرائيل، وتقدم المنح الدراسية للافارقة، وتنظيم الدورات للقيادات الشعبية والعمالية من اجل تعزيز

العلاقات بين المنظمات العمالية اليهودية والاسرائيلية والمنظمات الافريقية.

وتشير الاحصاءات التى نشرها مركز التعاون الدولى التابع لوزارة الخارجية الاسرائيلية أن عدد الافارقة الذين تلقوا تدريبهم فى اسرائيل نحو (٢٤٦٣٦) افريقيا منذ قيام دولة اسرائيل وحتى عام ٢٠٠٧م.

ولقد جاء على لسان "يهوذا باز" مدير المعهد الاسيوى الافريقى التابع للهستدروت

أن هناك ثلاثة رؤساء حكومة واربعين وزيرا ومائة وخمسين من اعضاء البرلمانات ومائة محاضر، واربعمائة من مديرى التعاونيات وثلاثة مائة وخمسين من رؤساء النقابات العمالية وسبعة وثلاثين من امناء الاتحادات الثقافية فى افريقيا ممن درسوا فى اسرائيل واصبحوا من اكثر المؤيدين لها.

الأداة الثقافية :-

تستخدم اسرائيل اساليب متنوعة فى سبيل التغلغل داخل القارة ،من ضمنها اكذوبة " التاريخ المشترك " الاستقطاب بالتعاطف الافريقى، فالاسرائيليون يحاولون أن يقنعوا الافارقة أن كلا من مجتمعهما – الافريقى والاسرائيلى قد عانيا من الاضطهاد التاريخى ،فاليهود عانوا

من الاضطهاد ابان الحرب العالمية الثانية على يد هتلر وبالمثل تعرضت الشعوب الافريقية لسياسات عنصرية ومراحل قهر واستعمار ونهب للثروات

ولذلك تسعى اسرائيل لاجتذاب الدول الافريقية اليها من خلال ابراز العوامل والقواعد المشتركة.

فعلى سبيل المثال، لعب الاسرائيليون على الوتر التاريخى لتعزيزعلاقاتهم بأثيوبيا ،من خلال الزعم بأن العلاقات الاسرائيلية– الاثيوبية ترجع الى عصر ملكة سبأ"بلقيس" التى جاءت الى النبى سليمان عليه السلام الى القدس ،وبعد زواجهما ولدت "منليك الاول" الذى هو أحد اجداد الامبراطور هيلاسلاسى، وتحاول اسرائيل تدعيم ذلك الزيف التاريخى بمقولة "هيلاسلاسى الذى اعتبر نفسه (اسديهودا).

وقد أنشأت إسرائيل العديد من المراكز التدريبية الخاصة بأفريقيا، كما تقوم على الدوام بإعادة تقويم هذه المراكز وتطويرها ومنها:

مركز "جبل كارمن" في مدينة حيفا الذي ينظم حلقات دراسية للمرأة الأفريقية في ميدان التنمية

مركز "دراسة الاستيطان" الذي يوفر تدريبات في البحوث الزراعية والتخطيط الإقليمي.

المركز الزراعي الذي يوفر الخبراء والمساعدات الفنية لتعظيم استخدام الموارد المتاحة قسم "التدريب الأجنبي" الذي يهتم بقضايا التنمية الأفريقية.

المعهد الأفروآسيوي،وهو معهد يقوم بنشاط كبير فى ميدان التدريب للدارسين من افريقيا

معهد الدراسات الافريقية بحيفا وقام بدور تدريبى عال للطلاب الافارقة من خلال المنح الدراسية

معهد " وايزمان " للعلوم

اتحاد نقابات العمال الاسرائيلى " الهستدروت" وهو أقوى تنظيم داخل اسرائيل سياسيا وذو نشاط تعليمى وزراعى واقتصادى ،وتربطه بالاتحاد الدولى الحر للعمال علاقة وثيقة.

الجامعة العبرية (تأسست ١٩١٨ ودشنها لورد بلفور ١٩٢٥) ويتلقى فيها الطلبة الاجانب دروسا علمية وسياسية وطبية ،وبدأت الجامعة عام ١٩٦٦ أول دورة فى الادارة القانونية داخل المحاكم الافريقية.

فضلا عن قدرة اسرائيل على استجلاب وفود من النخب والمثقفين والسياح الافارقة الى اسرائيل واعطائهم ندوات وورش عمل ورحلات سياحية والحاقهم فى الجامعات الاسرائيلية. وأما وجود منح إسرائيلية لدراسة التاريخ القديم واللغة العبرية تعني أنه كان هناك مخطط إسرائيلي لتشويه التاريخ القديم في افريقيا، وذلك عن طريق محو أصول العلاقات العربية الأفريقية عبر العصور، والرغبة في تأليف تاريخ غير حقيقي يربط اليهود بالأفارقة عبر العصور القديمة.

كانت اسرائيل لا تزال تواجه مشكلات أخرى داخل نطاق الدائرة الواسعة من المنافسات العالمية. ولم يكن بوسع اسرائيل التى يحيط بها الاعداء من كل جانب والمحرومة من اقامة علاقات طبيعية مع جيرانها، ولم يكن بوسعها الاعتماد فقط على الاصدقاء البعيدين فى اوروبا والامريكتين.

فى ذلك الوقت بدت عزلة اسرائيل تامة باستثناء علاقاتها مع عدد قليل من الدول غير الاسلامية، وأصبحت محاولة النفاذ من ذلك الحصار الذى فرضه المسلمون والشيوعيون هو حل نشاط وزيرة الخارجية الاسرائيلية انذاك "جولدا مائير " (١٨٩٨– ١٩٧٨م) والتى بدءت فى رحلات مكوكية الى القارة الافريقية.

رحلات جولدا مائير الى افريقيا بدءت فى أوائل الخمسينات عن طريق ممثلى الهستدروت الذين قابلوا ممثلى الحركات العمالية الافريقية المحلية فى المؤتمرات الدولية، وبدلا من السعى للاتصال بالافريقيين كى تناقش معهم مسألة اللاجئين العرب او وضع القدس ،أصبح هدفها الاساسي هو تقديم المعونة العملية للدول النامية

لقد كانت اسرائيل الدولة الصغيرة الفقيرة فى سبيلها الى حل نفس المشكلات التى تواجه الدول الأخرى التى كانت بالكاد قد خرجت من مرحلة الاستعمار الي مرحلة الاستقلال، وانطلق المهندسون والمدرسون وخبراء الصحة الى مدن وقرى أفريقيا، كما انطلق الى اسرائيل الافريقيون الذين يريدون دراسة نظم الزراعة الجماعية او هندسة أنشاء الطرق فى المدن.

لم يكن الساسة الذين قابلتهم وزيرة الخارجية الاسرائيلية خلال هذه الرحلات بالساسة السذج من الناحية السياسية ،اذ كانوا يعلمون تماما مدى فائدة صداقتهم لأسرائيل ولكنهم ادركوا انهم بحاجة الى المعونة وهم دول حديثة العهد بالاستقلال مثل (غانا – غينيا – نيجيريا وساحل العاج الفرنسي.

وفى عام ١٩٦٠ كانت مائير فى افريقيا للاشتراك فى الاحتفالات بعيد استقلال الكاميرون المستعمرة الفرنسية السابقة ،وقد ظلت جولدا

لما يربوا من شهر تنتقل بين الدول الافريقية الجديدة التى كان يرأسها رجال ادركوا أن الاستقلال السياسي ليس هدفا فى حد ذاته ولكنه وسيلة فقط لخلق مجتمع حديث.

وفى شهرسبتمبر عام ١٩٦٠ عقد مؤتمر دولي لبحث دور العلم فى تقدم الدول الجديدة بمعهد وايزمان فى رحابوت، والمفاجأة أن اكثر من نصف الدول الممثلة فى المؤتمر وعددها اربعون دولة هى دول افريقية واسيوية !!!

وصل الترحيب الافريقي بجولدا مائير الى الحد أن رحب بها أحد الزعماء الافارقة قائلا " **أنك بمثابة الام لنا** " واخر عبر قائلا " **يجب ان تغيرى اسم وزارتك الى الوزارة الصديقة** ".

وقد اتضحت أهم نتيجة سياسية لمساعى جولدا فى افريقية فى مؤتمر اديس ابابا لرؤساء الدول الافريقية الذى عقد عام ١٩٦٣م،، اذ انه على الرغم من أصرار الرئيس الراحل جمال عبدالناصر على ضرورة اصدار قرار معاداة اسرائيل ،فأنه لم ينجح فى مضاعفة النجاح الذى حققه فى مؤتمر باندونج ١٩٥٥م.

من هنا نستطيع أن نقول أن إسرائيل تغلغلت بقوة فى الكثير من البلدان الأفريقية خلال خمسينيات وستينيات القرن العشرين، بل إنها أقامت علاقات مع بعضها حتى قبل أن تنال هذه الدول استقلالها.

لقد استغلت إسرائيل كل قدراتها فى توطيد علاقاتها بأفريقيا وأهمها على المستوى الثقافى المنح الدراسية والتدريبية

ومع اندلاع حرب أكتوبر وحتى ١٢ نوفمبر ١٩٧٣، قطعت ٢١ دولة أفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل، بل إن بعض الدول عرضت على مصر الاستعداد للقتال إلى جانبها ضد إسرائيل.

ويرى الكاتب اوالدبلوماسى الاسرائيلى الدكتور" آريه عوديد "أن ثمة أسباب رئيسية وراء قطع بعض الدول الأفريقية علاقاتها مع إسرائيل، يلخصها فى منظمة الوحدة الأفريقية وسيطرة العرب عليها، والعامل الإسلامى لكون ثلث سكان القارة السمراء مسلمين، والرغبة فى إظهار الوحدة والتضامن مع مصر، ومعارضة احتلال أراضى الغير بالقوة، واعتبار سيناء جزءا من أفريقيا بفضل الجهود العربية، والتى أدت أيضا إلى زيادة التدخل الأفريقى النشط فى الصراع بالشرق الأوسط، بالإضافة إلى المساعدات المالية العربية التى جسدتها ليبيا والسعودية. ويرى ايضا أن من الأسباب الرئيسية نشاط الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية فى أفريقيا، مقابل عدم اكتراث الولايات المتحدة، والعلاقات الإسرائيلية مع جنوب أفريقيا العنصرية.

عد تولي **حزب الليكود** مقاليد السلطة في إسرائيل سنة ١٩٧٧، رفعت الحكومة شعار"عائدون إليك يا إفريقيا"فقد اعتبرت

زيارة **السادات** للقدس في نوفمبر عام ١٩٧٧ نقطة تحول في التقارب الإفريقي –الإسرائيلي، فهذه الزيارة ساهمت في انفراج العلاقات الثنائية،حيث شهد عقد الثمانينات من القرن الماضي مرحلة بناء لهذه العلاقات. لتبدأ مسيرة الخطوات العكسية في إعادة العلاقات

لقد سجلت الفترة من ١٩٩٠ إلى العام ٢٠١٥ م مرحلة الرجوع شبه الكامل للعلاقات الدبلوماسية بين أفريقيا وإسرائيل، حيث أقامت إسرائيل بعثات دبلوماسية في أحد عشر قطراً أفريقياً وهى على التوالي أثيوبيا، أريتريا، كينيا، أنغولا، الكاميرون، نيجيريا وزمبابوى، هذا بجانب موريتانيا,وبعض الدول الافريقية الاخرى.

ونجد أن معظم السفراء الإسرائيليين كانوا لديهم مقار لبعثاتهم في الدول المجاورة ولكن ليس مقيمين بها، الشيء الذي سمح بنمو الدبلوماسية الإسرائيلية في أفريقيا وبالتالي النمو الدبلوماسي الأفريقي في إسرائيل، ولتحقيق الحضور الإسرائيلي على الساحة الأفريقية والمحافظة عليه، تبنت الدولة العبرية في هذه الفترة إستراتيجية سد الفراغ، عن طريق إرسال برلمانيين وأكاديميين إلى دول أفريقية مختلفة، وذلك لتعويض الحضور الإسرائيلي الرسمي في الأرض في المناطق التي لا توجد فيها بعثات رسمية إسرائيلية، كما استخدمت الدبلوماسيين في الأمم المتحدة وواشنطن كأم بديلة للتعويض عن

غياب البعثات الدبلوماسية الإسرائيلية في بعض الأقطار الإفريقية، هذا بالإضافة لتحريك المنظمات الغير الحكومية والتي تتبع للجمعية اليهودية الأمريكية مثل **(ميغن ديفيد وأدوم ولاتيت)**

لقد سلكت إسرائيل وسيلة مهمة في دعم تغلغلها و تحقيق أهدافها و المتمثلة في إرسال الخبراء و استقبال المتدربين الأفارقة في إسرائيل، و كذلك القيام بإنشاء شركات مشتركة ونقل الخبرات والمهارات الإدارية للشركات الإفريقية. وتشير الإحصاءات التي نشرها مركز التعاون الدولي التابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية أن عدد الأفارقة الذين تلقوا تدريبهم في إسرائيل عام ١٩٩٧ وصل إلى نحو ٧٤٢ متدرباً إضافة إلى نحو ٢٤٦٣٦ إفريقياً تلقوا تدريبهم في مركز التدريب الإسرائيلية خلال الأربعين سنة الماضية.

ويعتبر المجال الفني الرياضي أحدث مداخل العلاقات الإسرائيلية/الإفريقية فقد كشف في أواخر عام ٢٠٠٣ عن مشروع إسرائيلي واسع النطاق لاستغلال الموارد البشرية الإفريقية من خلال إقامة معسكرات ومدارس كرة قدم لاجتذاب صغار الناشئين الأفارقة من ذوى القوة البدنية العالية وأصحاب المهارات الرياضية الخاصة

كانت اسرائيل قد طرحت رسميا منذ يونيو ٢٠٠٢م امام لجنة التراث العالمى باليونسكو " مشروع الاخدود الافريقى العظيم" وهو مشروع

يهدف فى ظاهره الى التعاون الثقافى بين الدول التى تشكل الاخدود الممتد من وادى الاردن حتى جنوب افريقيا، اما فى الجوهر فأن اسرائيل تهدف الى الظهور بمظهر ثقافى تقدمى من اجل استمرار أختراقها لافريقيا بوسائل متجددة لتطويق العالم العربى من جانب ووضع قضية القدس فى اطار ثقافى جغرافى يبعدها عن الصراع السياسى الدائر مع الفلسطنيين والعالم العربى.

الرئيس الراحل محمد انور السادات

قارة افريقيا

جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل سابقا

الفهرس

مقدمة ٧
الفصل الأول: ثقافة أفريقية ١١
اشكالية اللغة بالنسبة للمثقفين الأفارقة ١٥
بدايات الصحافة الافريقية وكفاحها ضد الامبريالية الاوروبية ١٨
الأسطورة فى الادب الشعبى الافريقى ٢٥
ملامح القصة القصيرة فى الادب الافريقى ٣٣
أشهر الجوائز الأفريقية للقصة القصيرة ٣٨
دور المسرح فى التنمية الثقافية فى افريقيا ٣٩
الموسيقى الافريقية ٥٠
اثر الثقافة الاسلامية على غرب افريقيا ٥٨
المجتمع السودانى قبل تعرفه على الاسلام : ٥٩
مصر وبلاد السودان الغربى : ٦٣
الفصل الثاني: شخصيات ثقافية فى ذاكرة أفريقيا ٦٩
١- ماريام ماكيبا....صوت الحرية وأم أفريقيا ٦٩
٢- جورج بادمور... رائد الجامعة الافريقية ٧٤
٣- الكاتب الصومالى نور الدين فرح....كاتب بطعم نوبل ٧٩
٤- سيدار سنجور. ...عاشق افريقيا وفيلسوف أدب الزنوجة ٨٧
الفصل الثالث: العلاقات الثقافية بين مصر وبعض البلدان الأفريقية ٩٧
الفصل الرابع: التغلغل الثقافى الاسرائيلى فى القارة الأفريقية ١١٥